يوسف رجب

فقيد الأدب والعرب

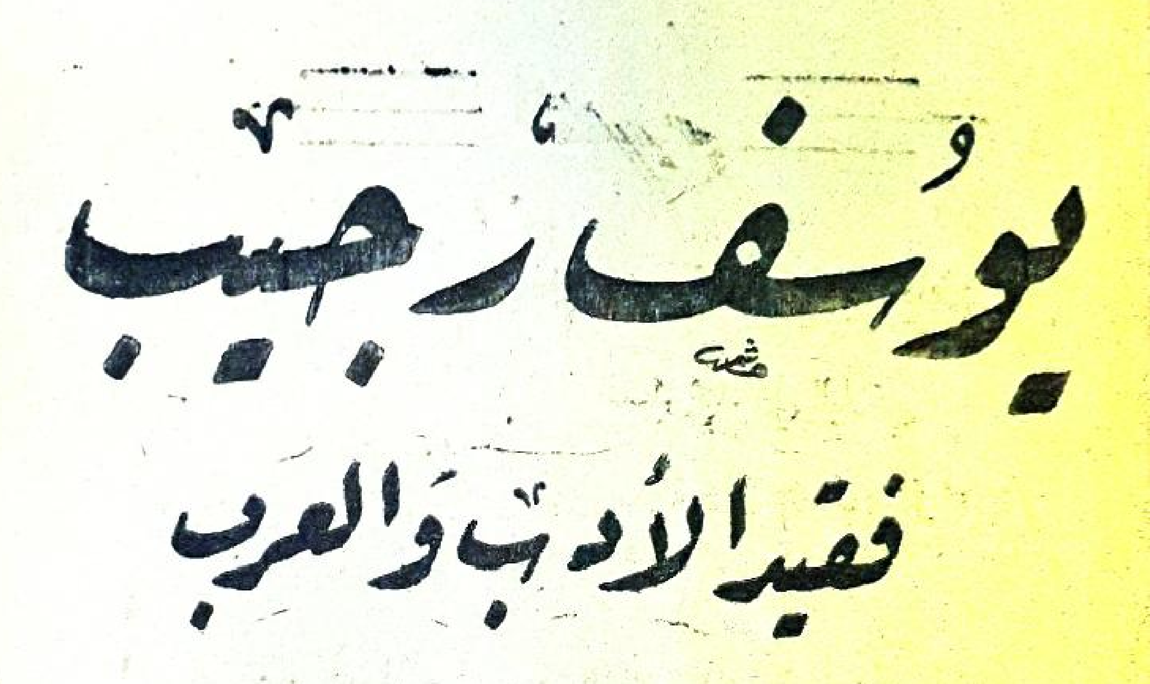
بقلم

معن العجلي

مطبعة الغري

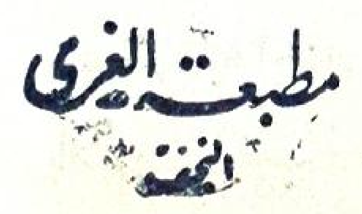
النجف

محتويات الكتاب



بقلم

معن العجلي



التصدير

بقلم : صديقنا الاستاذ الفاضل

السيد محمد علي البلاغي

صاحب مجلة «الاعتدال» الزاهرة

كنت قد لمحت — في الفاتحة المقامة لفقيد الأدب والبيان المرحوم يوسف رجيب — الأخ السيد معن العجلي ، واضع هذه الرسالة ؛ ولحظت عليه انفعالا شديداً وتأثراً بالغاً ، لفت نظري ، ودفع بي الى ان ادنو منه مستفسراً عما به ؛ متسائلا عما انتابه ؛ لأخفف من آلامه واسكن من هياجه ؛ وأهدئ من سورة غضبه ، ولاستجلي منه ما اصابه ، تقربت منه ؛ واذا به قد غمره الأسى ، وسيطر عليه الحزن ؛ واستولى عليه الوجوم ، لنكبة الادب بالأديب رجيب ؛ ولخسارة العرب بالمجاهد يوسف ، ولخلو

ميدان الصحافة من فارسها المغوار ، فما كان مني — وكلانا سواء في المصاب — الا ان أسكن من ألمه ، واخفف من لوعته ، بما يتناسب ومثل هذا المقام ؛ ويتفق وما عليه هذا الشاب المتحمس المتحمس من انفعال وألم ، وثورة واضطراب ثم اضطرني الحال ، وهو على هذا الحال ، أن أترك مجلس الفاتحة الحاشد ؛ واطلب اليه كذلك ؛ ان يترك هذا الحفل المؤلم ، فأجاب طلبي هذا ، وتركنا مجلس الفاتحة ؛ متجهين الى بيت صديق كريم ، ضم جماعة من اطايب الاخوان ، وحوى طائفة من أفاضل الادباء ، كان مدار حديثهم المرحوم يوسف رجيب ، وهناك في ذلك البيت وبين اولئك الاخوان اطلعني الاخ السيد معن المجلي على هذه الرسالة ، وقد كتبها عن الفقيد حال وصول جثمانه الى مدينة النجف ، فأعجبت بسرعة خاطره . وهالني من الاستاذ مدى تأثره بفقيدنا العزيز . ثم اعلمني بأنه يحاول طبعها ونشرها . فاستحسنت فكرته ، واستصوبت رأيه ، وذلك لما في عمله هذا من وفاء

لأديب كبير صادق مع نفسه ، ومع قومه - على حد تعبير المؤلف - . ولما حوته رسالته من حرارة صادقة في سبيل الدعوة الى الحق . والاشادة بمعنى الفضيلة .

والرسالة هذه - على اختصارها - تلم بجوانب عدة من حياة الفقيد الغالي رجيب ؛ وتنم - في الوقت نفسه - على ما يمتاز به صديقنا الاستاذ السيد معن المجلي (وهو من رؤساء قبيلة حچام . المعروفة بمرونتها وصلابتها . وبكرمها وبأسها . والتي يرتبط تأريخ قضاء سوق الشيوخ بتأريخها وبمواقفها المشرفة) الذي تعرفنا عليه في النجف . وهو من طلاب الحكمة وعشاق الفلسفة . وغواة الادب . وهواة التتبع . وقاصدي التحصيل ؛ كغيره من الذين يقصدون هذه المدينة « النجف » للاغتراف من مناهلها العذبة ، ومواردها الصافية .

يظهر . للقارئ من هذه الرسالة ان كاتبها الاستاذ المجلي قد تعرف على الاستاذ رجيب من طريق انتاجه . وما كتبه في خلال عشرين عاما . وهو يستعرض المثل العليا

المرحوم رجيب . ويستطرد الى ذكر خصائصه ومزاياه . من طريق ما قرأ له من مقالات وما دبجته يراعته - عليه الرحمة - من آثار قيمة . فيعطي صورة رائعة من نفسية يوسف ؛ الكاتب الاجتماعي ؛ والاديب القومي . والصحفي المجاهد . الذي جاهد من اجل العرب . وجالد في سبيل الدعوة الى الحق . وتحمس بكل ماتدعو اليه الفضيلة وتحمس للشعوب العربية على الاطلاق .

* * * *

فللأستاذ السيد معن وافر الشكر من الادب والادباء لقيامه بهذه الخدمة الجليلة ، ولادائه هذا الواجب العظيم فحفظه الله ورعاه . ووفقه وسدد خطاه ؟

١٩٤٧/٧/١ محمد علي البلاغي

الاهداء

الى الذين تعطرت أجواء بلاد القرآن بعبير دمائهم المقدسة .

الى الذين عرفوا الحق فقدموا أرواحهم قرابين لمعانيه الصادقة .

الى الذين دفعهم ايمانهم بالمثالية للعربية الى ان يريقوا أعلاق قلوبهم في ساحات الوغى ورحاب الموت ومنازل الردى

الى الذين جعلوا الموت طريقاً لهم في تمثيل الارادة العليا للعرب المستهدفة خير البشر اجمع .

الى اخواني شهداء العروبة ، أقدم هذه الصورة التي انتزعتها من اصدق مجاهد عربي اتخذ فكره وعقله وعواطفه ودماء قلبه وكل شيء في ذاته وسيلة في الدفاع عن العرب ذلك هو المرحوم يوسف رجيب ؟

سوق الشيوخ :- مون العجلي

بسم الله الرحمن الرحيم

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه منهم

من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا

صدق الله العظيم


« صورة الفقيد رجيب »

تمهيد

لا أريد ان اقيد نفسي في كلامي عن المرحوم الاستاذ يوسف رجيب بالأمور المتعلقة بتأريخ مولده وما كان يحيط بطفولته مما لا بد أن يمر به كل انسان يتخطى ادوار الطفولة ويجتاز مراحل النمو النفسي ، ولا احاول ان اتعرض في حديثي هذا للوازم سطحية ساذجة تصاحب حياة كل فرد وتلازم سلوك كل انسان ، إذ الانشغال في امثال هذه النوافل يبعد بنا عن الاشراف والاطلاع على القوى العقلية التي تفعل في كيان الافراد وتؤثر في مجاري حياتهم والتي من شأنها أن تسلحهم بالضوابط التي توقفهم امام التناقض الطبيعي موقف مستقلين متثبتين .

ومعنى هذا ان للانسان ذاتيين : ذاتية مادية مربوطة بعالم المكان مقيدة بجميع الصور والحقائق الخاضعة للنواميس التي تحاول دائماً ان تجلب الانسان اليها وتترك فيه الآثار التي تهبط به الى مستوى المادة الجامدة الصماء ، وذاتية معنوية مربوطة بعالم الزمان فقط تحاول الانطلاق دائماً نحو الوجود الروحي الذي يمتاز بالخصائص الفعلية المحضة والذي يؤثر في هذه « الاشياء » ويتسيطر عليها ثم لا ينفعل لها ولا ينقاد لعواملها ، والذاتية المعنوية هذه هي التي تحيط الشخص بجو عقلي فسيح لا يمكن الوصول الى ادراكه والاطلاع على حقيقته من

طريق الانشغال بتفسيرات واهية تتناول تاريخ ميلاد الشخص وتاريخ وفاته وما يجري له من بعض الامور السطحية البسيطة .

ويمكن التوصل الى فهم الذاتية المعنوية ومقاييسها وادراك مقدارها مما يظهر في حياة الفرد من تموج وقلق واضطراب مبعثه الشعور بضرورة التسيطر على البيئة التي يعيش فيها وعلته الاحساس بوجوب الانتصار على المؤثرات الطبيعية التي تحيط به وسببه الايمان بالمعاني الصادقة النازعة بالفرد الى الاستهانة بالحجب والاستزة الموضوعة فى طريق العقل ، أجل يمكن التوصل الى ادراك مقدار الذاتية المعنوية فى بعض الافراد مما ذكرت ، وذلك لانها تقوى وتضعف وتشتد وتنحل وتكثف وتلطف وتسمو وتهبط تبعاً لما في الشخص من روابط الذاتية المادية ، وقد تنحرف الذاتيـة المعنويه في بعض الافراد وتستحيل الى ما يشبه الضجر والتبرم والجزع ومحاولة الفرار من الحياة وذلك لا يتأتى إلا للعباقرة والذين يغرقون في تعقل ما يصل اليهم من العالم الخارجي ، ولا يتأتى هذا ايضا إلا للذين تتكبر فى نفوسهم صور أصغر الاشياء فيدركونها على طريقة عميقة دقيقة لا تتهيأ لغيرهم :

والانشغال ببحث الذاتية المادية التي المعت اليها آنفاً هو دأب المؤرخين والذين تحبسهم الارقام والاعداد عن الوصول الى معنوية الشخص المبحوث عنه اذ كما قلنا ان معنوية الفرد لا يصورها الوقوف على الأمور البسيطة التي كانت تحيط به فلا تتعدى ان تكون اموراً ضرورية تتكرر لجميع النسم والافراد ، واما الذاتية المعنوية فهي التي يعبرها

الكاتب الذي يتجاوز الحدود والقيود والسدود الى الآفاق البعيدة الساحقة فينطلق مع أبعد سبحاتها ويرتفع الى اعلى مراتبها .

وفى حديثي انا عن ابي بيان لا اريد ان اتناول منه سوى ذاتيته المعنوية لئلا يضيع عني اروع المداليل العقلية الملازمة لروحه ولئلا اجنح أو ابتعد عن معرفة اقرب الخصائص النفسية له .

وكما هو معروف لدى الفضلاء أن الصور التي تتعين بها الاشياء ـ بالفعل ـ كلما قويت وازدادت اشراقا وفعلية ضعفت المواد التي هي محال تلك الصور والقابلة لها وازدادت ايغالا في الظلام وشدة فى الانفعال وكذلك الاعمال الفنية كالموسيقى والتصوير والشعر فانها تزداد انطلاقا وجمالا وحرية كلما قويت الفكرة فيها « والفكرة هنا تمثل الصورة » وتزداد قبحاً وكثافة وثقلا على الطباع والاذواق وتكديراً للنفوس والمشاعر كلما قويت الآلات والأدوات والألفاظ التي تمثل المادة ، وكذلك الافراد ايضا كلما تتاصل الذاتية المعنوية فى احدهم وتقوى فعاليتها وكلما تقوى الصورة التي تتقوم بها حقيقته أقول كلما تقوى الذاتية المعنوية فى شخص ما تضعف العوامل التي تريد اخضاعـــه للجماد والتحجر .

واعتقد انا أن اكثر الناس امتيازاً بقوة الذاتية المعنوية واستقلالا بهذه الحقيقة الرفيعة وامتثالا لواجباتها ولوازمها هم الادباء الذين يحسون بجوانب ادق الحقائق ويدركون اغلب المغازي والغايات والاغراض المتجاوبة في قلب الوجود ، ويصغون لأخفت الأصوات المتقابلة في

ارجاء الحياة وينفعلون لأرق الأنغام التي تجوس فى ضمير الطبيعة .

وليس من قبيل التصاب العنصري أو من قبيل ما تتطلبه الصداقة وما تحتمه الرابطة الأخوية المبنية على الأعجاب العاطفي التي من شأنها التغاظي عن العيوب والاشاحة عن السيئات. لست خاضعا لشيء من هذا القبيل فى اثناء قولي ان الاستاذ يوسف رجيب اديب فذ من هؤلاء الادباء الذين ذكرتهم آنفاً ؛ هكذا ارى انا وقد اختلف بهذه النظرة عن كثير من الأشخاص الذين يقيسون مقدرة الاديب بما يظهره من التلون والتقلب وعدم الأستقرار على مبدأ من المبادىء أو مع الذين يقيسون ادبه بكثرة ما يتذبذب ويرائي ويتصاغر ويتضاءل فيما يتملق به أذواق الساذجين والبلداء ، أو مع الذين لا يفهمون من الأديب إلا المداح النواح الذي تدر دموعه وتنبجس لأقل ما يصيب هؤلاء من عوارض وعاهات ، نعم يريد هؤلاء ان يفني الأديب حياته فى المآتم والأعراس ويقضي عمره فى المناسبات الطارئة العارضة التي يرقص بها قرود الأدب من هؤلاء الصغار المتملقين . نعم أختلف مع هؤلاء لأنني أحدد الأديب أولا بان يكون صادقا مع نفسه ومع قومه واذا كان صادقا استطاع ان يكون رسولا اميناً بين الناس و بين الطبيعة وافهم من الأديب ايضا حقيقة عليا من حقائق الحياة لا يضمر ولا يصغر ولا يهبط امام اية قوة تريد ارغامه والسيطرة على عقله ، واذا ما كذب الأديب والتوى عن الصدق فقد فسدت الحياة وانحطت القيم واختلت المعايير اذ تصبح أذواق العوام والطغام هي المقياس المتبع وما تراه هو

الحكم الفصل .

والخلاصة ان الاستاذ الفقيد يوسف رجيب اصدق اديب قرأت له حتى الآن وارفع اديب امتزجت بانتاجه وما ارسله فيما كتب من مقالات فوجدته قوي القلب ثابت الأرادة رابط الجأش صلب العقيدة راسخ الأيمان لا يلين ولا يتضعضع ولا ينكمش ولا يهن امام اقوى الرجال الذين يتسابق كثير من الناس الى السجود على اقدامهم والتمرغ في تراب ارجلهم .

وها انا ذا أحاول أن اقدم للقارىء صورة لعلها تدله دلالة صادقة على ما فى هـذا الأديب من أمثلة رائعة رفيعة للادب العربي . وعلى ما يحمل في قلبه من معان سامية فى الجهاد القومي ،

هل مات يوسف رجيب ..؟

من البديهي ان الأنسان يمتاز عن الحيوان بالادراك العقلي الذي يجعله يحس بالروابط التي تصله بالموجودات والذي يمكنه من تفسير كثير من الأمور التي تعترض حياته ، ويأتي نوع ممتاز من البشر اهلته الطبيعة بقدرة تامة على فهم قيمة هذه الروابط التي تصل بين الاشياء والغرض من تنظيمها وترتيبها ، وهذا النوع يتألف من العباقرة والفلاسفة والأدباء .

وتوضيح هذا هو أن يقاس أثر جميع الموجودات الخارجية فى الحياة بما لها من احساس وتعلق بالوجود الأعظم الذي يشتمل عليها ويستوعب حدودها فكلما كان الموجود قادراً على فهم القيم التي تحملها الروابط الموصلة للنسب بين الأشياء ، وكلما كان متمكنا من تفسير بعض القوانين السارية فى طيات الحقائق كانت علاقته بعالم الحياة دقيقة كل الدقة عميقـــة الى منتهى العمق واصبحت صلته بالقوانين الوجودية من بعد الغور وعمق القرار بحيث يتعذر قطعها وبت وشائجها وبعدئذ يصبح متركز المكان ثابت الكيان .

فالفيلسوف والعبقري والأديب والمصور والموسيقي كل منهم له

حصة جليلة من هذا الضرب من التسامي في الأدراك والعمق في الشعور فكل منهم له درجة عالية في مراقي هذه المعرفة على حسب مافيه من لياقة واستعداد ، ولهذا صار للاديب ولكل واحد من أولئك علاقات دقيقة مع كل موجود تتنازع شخصيته فيتوزع عليها اعجابه ويتوجه اليها كل مافي نفسه من القوى والاختلاجات إذ يصبح ادراكه للحقائق الكامنة وراء « الأشياء » هو السبب في تعرفه على جميع معاني الحياة .

وهنا اقول ان علاقة الأديب بوجوه الحياة والوانها علاقة ثابتة غائصة في ابعد خوافي هذه الألوان والوجوه ، ومقر الأديب من الحياة وطيد مكين راسخ الجهات وما هذا إلا لدقة تشوقه للقيم المعنوية التي تنبعث منها معاني الجمال والفن ، ولقرب روحه من الوجود الأعلى الذي لا يتفرد في التعلق به إلا أولئك الموهوبون الذين تتجسد في أرواحهم صورحية مشرقة تحتم على الطبيعة ان تمثل كل ما ينبع منها من الدلائل والمفاهيم .

نعم تتكفل الطبيعة بتمثيل كل ماينبع من هذه الصور وآية ذلك أن في معنى العبقرية أو الفن ناموساً قاهراً وهذا الناموس هو الذي يكاشف الطبيعة فتستقبله جميع حقائقها ملبية متفتحة مقرة بكل ما يبتغي ويشاء ، وللصلة بين العبقري وبين جميع اجزاء الطبيعة ولقبول هذه الأجزاء كل ما يفرضه فكر العبقري فان الهزيمة أو الفشل لا يمكن ان يقدرا للعبقري باي سبب من الاسباب فالعبقري لا يفشل ولا يندحر وأود ان اكمل هذا الاستطراد بالقول ان مشاعر الأديب اجهزة

لاقطة تنقل اليه معاني جميع الأشياء فتنيطه كل ناحية من نواحيها وان للاديب خصائص وصفات لا توجد في اناس آخرين ، فحياته التي يحياها محاطة بعالم من الصور والأرواح ، والمعارف كلها توحي اليه القول وتدفعه للفكر ، وحتى موت الاديب ايضا يختلف عن موت بقية الناس فموت شخص من غمار البشر معناه اندثار حقيقة واحدة ليس لها أثر إلا فى المكان الذي كانت جاثمة فيه (اما موت الاديب) فهو غياب حقيقة واحدة ايضا ولكنها حقيقة تختلف عن حقيقة الأنسان العامي لانها حقيقة عليا تلتقي فيها صور جميع الاشياء وتبدو فيها اشكال مختلفة لضروب شتى من الموجودات اذ كما قلنا للاديب علاقة بكل الاغراض المتغلغلة فى الطبيعة والمداليل العائمة على وجهها فاذا ما مات اديب من هؤلاء الذين يهبطون على ارواحنا بالغذاء دون اجر نقدمه لهم ويملأون مشاعرنا بما يسمو بها ويجعلها تتلقى اقصى المدركات وانأى المعاني فان مرآة كبيرة كان يبرز فيها كل شيء ونقيضه قد تحجبت متغيبة عن عالم الحياة .

ولذا يصعب على الطبيعة ان تفني أحداً من الادباء « الروحيين » فناءاً تاماً إذ أن اندثار جسمه لا يستلزم محو آثاره التي تظل شاخصة تطاول الجديدان وتفاخر الدهر ،

فالطبيعة تتخذ ضد الأديب شتى المسالك من الامراض والاوصاب والمصاعب التي تضعها في طريقه لانها تحرص على بقائها غامضة مبهمة لا يعرفها احد ولا يحس بمعانيها الرفيعة انسان .

نعم ان الطبيعة تثقل كاهل الاديب وتحز في نفسه مما نصبه على قلبه وتسكبه في اعصابه من الشرور والآلام ومع هذا فالاديب يظل خالداً يترقى روحه المستقر في آثاره الى ابعد الاجيال القادمة وان للاديب صلة بجميع خواطر الناس وافكارهم وهناك خيوط تمتد بين قلبه وبين كل خلجة من خلجاتهم اذ هو ترجمانهم الصادق ولسانهم الذلق ومقولهم الجرىء ومنطيقهم الذرب وخطيبهم الذي يثيرهم ويستفز مكامن انفسهم . ويهيب بهم الى ساحات الجهاد وميـــادين الموت ومنازل الوغى .

أجل هو ترجمانهم الصادق الذي يأخذ منهم وينقل اليهم ، يأخذ منهم ما تزخر به قلوبهم مما يتمخض عنه التأثير المتبادل بين تيارات الاجتماع وما تتركه الرجات الحيوية التي لا يدرك الناس مغازيها إلا بعد أن يصوغها الاديب قطعا فنيـة تقر معانيها في العقل والروع ، وينقل اليهم مايتلقاه من الوجود الروحي من الرشحات والايحاءات التي يفقد غير الادباء الروحيين الشعور بها والاحساس باغراضها .

ولقد فقدت لغة الضاد الاديب العربي المشهور الاستاذ يوسف رجيب ، ولكني اعتقد ان هذا الاديب لم يمت بل هو حي يوحي الي - وانا اكتب عنه الآن - بشتى الخواطر ومختلف الافكار ، وتهبط علي الآن من روحه انواع الآراء وضروب الفكر ، ولو ان هذا الاديب الكبير قد مات حقا ، أي لو انه فقد جميع الاعتبارات التي تصله بالوجود ، وتقطعت جميع صلاته بهذه الحياة ، فمن الذي يوحي

إلي بهذه الافكار ومن الذي أتجه نحوه الآن فيترع قلبي ومشاعري بسيل من الاحاسيس والخواطر . فالشيء لا يصدر من العدم ، كما يقول الفلاسفة ، فيوسف حي فى قلوب اصدقائه ومعارفـــه ، وحي ينطق ويتكلم فى دماء قرائه ومشاعرهم ، واعلاق قلوبهم ومجاري انفاسهم ، وانا واحد من هؤلاء القراء الكثيرين الذين يذكرون (أبا بيان) فتذوب قلوبهم اسى وتحرقا وتنفطر افئدتهم حزنا وتألما ، وتتوهج ارواحهم تفجعاً وتوجعاً .

وأخيراً أن الاستاذ يوسف حي لأنني أشعر أن صلته بافكاري ومشاعري وكل ما يتألف منه كياني الشخصي لم تنقطع ، فعلاقة يوسف بنا أمس يمكن حصر مصدرها من جانبه هو بشخصيته المادية وذاته المتخصصة بالتعيين الحسي ، أما الآن فعلاقتنا نحن بيوسف من طريق الروح والأثر والصفات المعنوية وهي علاقة خالدة باقية ما بقيت لنا قلوب تتذوق الفن والادب .

فيوسف حي لم يمت لأنه اديب من الأدباء الذين تجبر الطبيعة على تخليدهم ، وحياة يوسف الآن هي دروس بليغة في الجهاد العربي ؛ وامثلة رائعة للقومية العربية .

ادب يوسف رجيب

أريد أن اقول ان ادب الاستاذ المرحوم يوسف رجيب ادب عربي محض ، واقصد من هذا التخصيص أن البيئة العربية بكل مافيها من الهمسات والاختلاجات والاضطرابات ، وبكل مافيها من النزاع والتطاحن والتشاحن ، وبكل ما فيها من عوامل الالم وبواعث الاذى وعلل الضجر ، تظهر ظهوراً جليا فى ادب الاستاذ رجيب ، ويكاد يتفرد الاديب رجيب بكونه أول اديب عربي يحس بكل ما يجول فى الوطن العربي من الحقائق وما يحيط به من الاوضاع ، ويكاد يكون اول اديب عربي تمده كل جارحة من جوارحه ، وينطق معه كل جزء من اجزاء كيانه بتلك الاحاسيس ، والاديب الحق فى رأيي هو الذي تتشارك جميع وظائف اعضائه في تكوين شخصيته الادبية، وتتساوى في تعزيزه جميع القوى العقلية المودعة فيـه ، والمعاني النفسية المنطوية فى ذاته . حتى تحصل فيه وحدة الايجاب التي تجمع تحت مفهومها كل ما يحمل الاديب من التوثب والاندفاع ، وكل ما يزخر في روحـه من الغـايات والاغراض وجميع ما ينهض به دماغه من الاخيلة والانعكاسات ، والاستاذ يوسف رجيب اديب من هذا النمط الذي

ذكرت ، اديب صادق كل الصدق، صادق مع النوع وصادق مع نفسه وصدقه في ادبه هو الذي يجعلك تتبينه شاخصا بارزاً من خلال اسطر كتابته ، فعندما تقرأ الاستاذ يوسف رجيب تحس بخواطره وافكاره وعواطفه أو بكلمة اخصر تحس (بحقيقته) الذاتية سافرة حاسرة واضحة في كل ما كتب ورسم ، وهذه الخلة هي التي خلقت من الاستاذ رجيب أديبا تبدو فيـــه القومية العربية بجموحها وطموحها وهدوئها وهياجها ، وصخبها وتمردها ، يبدو فيه عنف القومية العربية اذا ما اقتضى الحال ان تكون عنيفة ، ويبدو فيه الى جنب ذلك ـ من خصائص القومية العربية ـ الرقة والسماحة والعطف والنجدة والبطولة والثورة للعرض والدفاع عن الجار والاحسان والضيافة واغاثة الملهوف ، تتعارض هذه الصور العربية المثالية في ادب ابي بيان ، فتسيطر على سبكها وترتيبها باسلوب جزل رصين ولغة متينة صريحة ولفظ مهذب منتخب من تجارب سنين عديدة قضيت في درس العربية وتدريسها ، ويصحب هذا فكر عميق غواص وخاطر متوهج متلون وعواطف أمينة صادقة وشعور دقيق مرهف ، وعقل رزين هادىء ، قدير على التنظيم، ومتمكن من الضبط والسيطرة .

قلت. أن ادب يوسف رجيب ادب عربي بحت ، ولا ارى في ذلك ان الاستاذ الفقيد لم يطلع على مادخل العربية من افكار جديدة وخواطر مستحدثة ونظريات مبتكرة ، بل انا معتقد ـ وانا اقرب الناس اليه من طريق انتاجه ـ انه قرأ اكثر ما اخرجتـــه المطابع

الحديثة من الكتب والمجلات وكيف لا وهذا ادب يوسف رجيب يظهر أمامنا ملونا باروع الالوان الحديثة ومملوءاً باحدث النظريات الجديدة في الادب والاجتماع والفن ، لكنني ارى ان يوسف رجيب اخضع كل مافي دماغه من آراء جديدة وما يجول بخاطره من افكار مستحدثة للغاية التي يستهدفها فيما يكتب وهي تصوير البيئة العربية ، فقريه يوسف العربيه ونشوؤه في النجف بلد العربيه والتباري في درسها وتدريسها ، وولوجه اندية الجدل والمنطق في هذه المدينه الساخبه الثائرة ، وأثر الثورات التي حدثت في النجف والفرات ضد المستعمرين التي برز أثرها واضحا في ادبه ، كل هذه الأسباب والعلل تضافرت على خلق مزاج يوسف الادبي ، وتكوين ملكته الفنيه ، وتضافرت على اخراجه اديباً عربيا محضاً ، لا تنطبع في صفحه ذهنه إلا صورة القوميه العربيه .

فبرز يوسف وهو قوي الفكر ، جزيل الاسلوب ، رصين العبارة ، عنيفاً في نقده وخصومته .

وهـــذه الاسباب عينها هي التى اتجهت ايضا بالاستاذ يوسف رجيب الى الاحساس فقط بالحياة القوميه للعرب ، وهي التي طبعته بهذا الطابع المثالي العربى فهو اديب العرب جميعا ، وهو اول قائد من قادة النهضه الحديثه في الادب العربى ، يجعل أدبه وسيلة للجهاد في سبيل الوحدة العربيه والوطن العربى .

واعود فاقول ان الاستاذ رجيب اديب صادق مع نفسه وصادق مع النوع .

يوسف رجيب والشباب العربي

ماذا استفاد يوسف الذي افنى عمره واذاب اعصابه واستنفد دماء قلبه وانفق كل مافيه من قوى ؟ .ماذا استفاد يوسف الذي صب عصارة روحه فقدمها لقراء العربية طعاماً سهل التناول سريع الاستساغة؟ ماذا استفاد هذا الكاتب الذي كان يتفجر غضباً للحق ، وحماساً للوطن العربي وانتقاما من الباطل وانتصاراً للفضيلة ؟ وهل يسوغ لنا القول انه مجبور فى كل ما فعل وان هذه الاعمال التي يقوم بها الأديب وظيفة حتمية يؤديها لأبناء جنسه كما يتحتم على كل انسان الفناء في النوع والعمل من اجل تجديده وترقيته وكما يتحتم على كل انسان ان يفني مصالحه الخاصة واغراضه وشؤونه من اجل تثبيت ارادة الحياة أو ارادة النوع التي تتقوم بالأفراد ؟

هل تكون رسالة الأديب الزامية ارغامية مقدرة تقديراً آلياً كالوظيفة الشخصية المراد منها تمثيل الواجب النوعي الذي يتوقف صدقه على وجود افراد تتعين بالتشخيص والتحديد .. كلا ان وظيفة الأديب ليست جارية على هذا القانون الذي لا يتغير ولا يتبدل وليست لها صلة - من طريق آلي - بخدمة التبديل النوعي .

نعم ! ليست وظيفة الأديب قائمة على شيء من هذا القبيل وإلا فما معنى خروج تسعة اعشار الأدباء والمثقفين على هذا القانون الطبيعي الصارم الذي لا يتغير ولا يتبدل . ما معنى ان يحيد اكثر الأدباء فيعملوا ضد اقوامهم واوطانهم وضد النوع والجنس أو ضد الطبيعة جمعاء . ولماذا لا نجد هذا القانون يقيد هؤلاء الأدباء كما يتقيد الأفراد - من طريق لا شعوري - بالألتحاق في النوع والفناء في سبيل تجديده .

لا أدري لعل هناك من يرى أن خيانة هؤلاء الأدباء وتجسسهم واباحيتهم واستهتارهم بالشروط الطبيعية والخلقية واستخفافهم بالمعاني الروحية لأمتهم وتملقهم للاجنبي لا أدري لعل هنا من يرى ان هذه كلها شرائط وعلامات وامارات للدلالة على الأصالة في خدمة النوع مع ان المقرر عقلياً هو ان الخروج على قاعدة واحدة من القواعد التي ينتظم بها الكون - صغرت هذه القاعدة أو كبرت - هو جموح وتمرد ضد جميع حقائق الكون . أجل يا أخي القارئ ان خدمة النوع من طريق الجيشان الروحي وهي مزية نادرة بين الأشخاص لا تنحصر إلا في افراد معلومين من الأدباء الروحيين تجد فيهم الطبيعة الأستعداد التام والقابلية الكاملة والرجاحة الصادقة فتنتخبهم للقيام بهذا العمل الجليل الذى لا ينهض به إلا هؤء الروحيون العاملون من اجل الكون كله ويستلزم عملهم من اجل الكون كله العمل من أجل أوطانهم إذ الوطن وحدة صغيرة كامنة في جانب من جوانب الكون .

فالأديب الروحي هو الأديب النوعي والقومي والوطني إذ أن هذه كلها مراتب يستلزم بعضها بعضا .

وارجع الآن الى الاستفهام فى صدر هذه الكلمة فاقول ماذا استفاد يوسف رجيب من جهاده المتواصل وعراكه الطويل وشقائه المرير ونصبه المودي واضطلاعه بهذه الاعباء الثقيلة التي اقضت مضجعه واردت جسمه ، وافقدته راحة القلب، واستقرار الضمير .

ماذا استفاد يوسف مع انه كان قادراً - لو انه استطاع ان يسف فيوارب ويدالس ويتملق ويكذب على نفسه وقومه - ان يحظى برغد العيش وكثرة الوفر وزيادة الهناء ، انه لم يرض لنفسه إلا العناء والشقاء في سبيل العروبة والوطن .

ان يوسف لم يبتغ شيئاً من وراء عنائه وشقائه الطويل وتحمله لمضاضة الفقر والعوز إلا التضحية من أجل العرب والتعب في سبيل الدفاع عن لغة القرآن ولم يبتغ يوسف شيئا إلا ان تقال بعده امثال هذه الكلمات التي يجب ان يعرفها ليوسف كل شاب عربي مخلص من شباب الضاد فيوسف مجاهد كان يعبد الحق ويتغنى بالفضيلة وينشد الخير ويدعو للحرية ويوسف عربي كانت تظهر فى روحه أمجد الطباع العربية المعرقة فى العزة والترفع والفخامة والسمو ويوسف مصلح دوى صوته في المطالبة بالاصلاح والخروج من الجمود والتحجر فى وقت خفتت فيه الاصوات وسكنت الحركات ويوسف مسلم كان متعلقا بأصول الاسلام وقواعده بعيداً عن كل ما يدعو الى تفريق وتبديد

أو تعصب ، كان بعيداً مترفعاً عن الطائفية وعلاقتها واغراضها ومراميها لعلمه انها دمية يرقصها الاجنبي بين ظهرانينا ، فلهو بها عن كل ماهو واجب ولازم .

فيا شباب العرب اقتبسوا من جهاد رجيب الحكمة فى العمل والرزانة فى المنطق والصدق في القول والصلابة فى الرأي ، والمتانة فى الخلق ، والشدة فى العفة والأخلاص فى الأيمان وخذوا من يوسف مثلا من امثلة الجهاد الرائعة واقرأوا ما كتب الأديب يوسف تجدوني لم أتجاوز القصد ولم اختلق القول .

يوسف رجيب والثورات الوطنية

نشأ الأديب يوسف رجيب في مدينة النجف بركان العراق الثائر كما يسميها المرحوم الريحاني حيث كانت سلطة الاتراك المستبدة تنهش اللحم وتعرق العظم وحيث كانت سيطرتهم آخذة بخناق القلوب والارواح . ولولا ما كان يعيق الاتراك من ثورات العراقيين فى الجنوب لاتى الاتراك بطباعهم الشرسة على كل مظهر من مظاهر حياتنا ولطمسوا كل اثر ثمين من آثارنا .

وبعد ذلك كان الاحتلال الانكليزي وما صحبه من هزات مربكة اثرت فى جميع نواحي هذا البلد وفي ذلك الحين زأرت النجف متنكرة عابسة في وجوه الغازين الغاصبين ودلف الصيد الاشاوس والمناجيد الضياغم من أبناء هذه المدينة العربية نحو معسكر الانكليز فاردوا الحاكم الانكليزي هناك صريعا لليدين وللفم .

وحوصرت النجف واثقل الانكليز وطأتهم العسكرية ضدها وملأوا النجاد والوهاد بالجند والنار والحديد وصمدت النجف وقت ذاك تقذف بالحمم وترمي بالشرر وهب ابناء يعرب المغاوير عباد الجهاد وعشاق الموت يستوحون من روح الامام علي عليه السلام بطل الاسلام

ثبات القلوب، وقوة الايمان وصلابة المشاعر، ومضاء الارادة ورسوخ العقيدة .

وعم الرعب وانتشر الفزع وبلغت القلوب الحناجر بالله .. مدينة صغيرة منقطعة عن الماء والأكل كيف تصمد حيال امة لا تفهم إلا لغة الحديد والدم .

ودخل الانكليز النجف وصلبوا واعتقلوا ومثلوا وفعلوا كل ماتستنفيه (مدنيتهم)

ثم اندلعت نيران الثورة فى الفرات والقت الحرب بجرانها فى هذه الربوع من الحلة الى سوق الشيوخ وامسى الفرات وكأنه مخزن كهربائي يمد كل من يحيط به من ابناء العراق بالحماس للحق والشعور بالواجب والتثبت في الدفاع عن العروبة والاسلام والامتثال لما تصرخ به النجف من نداءات عربية اسلامية تدعو للاستقلال وتحرض على طرد الاجنبي الدخيل .

فماذا تكون نتيجة هذه الأحداث في اديب ناشيء كيوسف رجيب أديب عربي ينفعل قلبه ويتوهج شعوره لاقل همسة تخدش الشعور العام لامة الضاد ؟ لقد استحال بسبب هذه الاحداث الى كتلة من الشعور والتحمس واخذ عقله الجرىء وقلبه الزخار يجذبان كل ما يعيان من هذه الاحداث واسبابها ونتائجها .

فلقد كانت عاقبة هذه الحوادث ان فتح هذا الاديب نافذة من نوافذ نفسه في جريدته « النجف » قبل ثمان وعشرين سنة في وقت

كان العراق كله يغط بنوم عميق يكاد يفقده كل وسائل الحس والادراك ويكاد العراق يجهل بسببه كل ما يمت الى الكتب والصحف بسبب .

وفي جريدة النجف هذه تجلت النزعة الاصلاحية الكامنة في نفس يوسف وظهرت بوادر الآراء الاصيلة القارة في اغوار روحه وتكشفت نفسه عن مشاعر جديدة مترعة مليئة بكل خاطرة اصلاحية يفتقر اليها العراق والنجف خاصة في مثل ذلك الزمن ، ولقد كانت اشباح الثورات الوطنية واخيلتها وظلالها وصورها القاتمة تبدو ملوحة على صفحات جريدة النجف .

ولقد ابدى يوسف في جريدته هذه من الاستعداد التام للدعوة والبراعة النافذة في الاقناع واللباقة المعجزة في التكيف مع البيئة التي لم تألف بعد ما يستجد من الآراء والافكار ولقد اظهر من القدرة على التنظيم والتمكن من اتقان العمل الصحفي في مثل تلك الازمان العابسة ما يجعله نموذجا صادقا من نماذج الرجولة والثبات والرزانة والتمسك بالفضيلة والحق .

ومع هذا فلم يتجل من مشاعر يوسف واحاسيسه في جريدته إلا القليل الذي يسمح به الظرف وترجحه تلك البيئـــة المملوءة بنفوس لا تقدر إلا على التشهير والطعن بدعاة الأصلاح والتجدد .

ثم صرفت رجيب عن تأدية رسالته كاملة فى ذلك الحين احداث مرهقة وتقاذفته تيارات قاصمة واخذ ينوء بما ينوء تحت ثقله كل

رجال الفكر في بلاد العرب وتدافعته شواغل وتنازعته عوامل اضطرته ان ينفس عن روحه وقدة الألم وحرارة الاسف وحرقة الضمير وعندئذ قطن رجيب بغداد وتسلم زمام جريدة « النهضة » لسان حزب النهضة ولقد نضج عقله السياسي عند ذاك نضجاً تاما فنشر في جريدة النهضة اكثر من ثلاثمائة افتتاحية كلها دفاع عن العرب والوطن ودعوة حارة صادقة للوحدة العربية وللمطالبة بتحرير الزعيم الربيعي وغيره من زعماء العرب الذين امتلأت بهم سجون الظلم والطغيان ، اخذ يتفجر رجيب في جريدة النهضة وجميع جرائد بغداد الوطنية حماساً وثورة واندفاعا وتوثباً وغيرة وتحرقا ضد الظلم وضد المستعمرين الغاصبين وضد كل من يرمى في اعماله في داخل هذا الوطن الى تجزئة العرب والطعن في قوميتهم ، ووقت ذاك اصبح الاديب رجيب كاتبا سياسيا بارعا ممتازاً بالصدق في القول والثبات على المبدأ والفناء في الغاية العليا للعرب وهي الوحدة والاستقلال.

ولقد ظهرت مجلة « الاعتدال » في مدينة النجف وصارت هذه المجلة نتيجة لازمة لجريدة « النجف » تلك التي غرست فكرة الثورة الادبية من زمنها في نفوس شباب النجف الغيارى ، المملوئين غيرة وحماسة ، والمندفقين حيوية واخلاصا ، ومن بينهم أو في مقدمتهم الاستاذ محمد علي البلاغي صاحب مجلة « الاعتــــدال » الزاهرة ومدير ادارة « النجف » حينذاك ، والتي كانت تتصاعد فيها

انفاس الاديب الثائر يوسف رجيب ضيقا وتحرجا بسبب الجمود الذي ابتليت به بعض النفوس التي لا تصغي ولا تقبل أي صوت يدعو للاصلاح .

اتصل رجيب بالاعتدال هذه المجلة الادبية المفتحة الجوانب لكل عربي يريد ان تتصل نفسه بالنفوس العربية الشاعرة وتفتحت منافذ نفس رجيب واشرقت روحه واخذ يتصل بالعقل العربي متلقيا منه كل ما يرسله ويتمخض عنه ، واخذ يتفنن في هذه المجلة بتصوير الحياة الاجتماعية في العراق وغيره من بلاد العرب بكل ما اوتي من موهبة فذة وقابلية مبدعة وملكة متجددة ، ولقد جعل مصدره في جميع مقالاته الانطباعات التي تركتها الحوادث الوطنية المصاحبة لنموه والملازمة لتدرجه في مراتب الشعور .

فاتخذ من ثورة النجف مادة لموضوع طويل نشرته الاعتدال تحت عنوان (الحاج نجم البقال) وقد اودع الاديب رجيب في هذا المقال الغزير المادة كل ما يعتلج في نفسه من الخواطر والآراء ورسم فيه كل ما تتطلبه القدرة الادبية التامة في التجسيد والتصوير والتجسيم والتلويح والتشبيح والاخراج فظهر هذا المقال اثرا فنيا رائعا ناضجا في الفكرة وبراعة في التفصيل واحكاما في التنظيم وتفننا في الاعداد ولقد كنت وانا اعيد قراءة هذا المقال احس بان الكاتب قد استولى على نفسي وسيطر على جميع خواطري فاتجه بي نحو الحادث وراء الزمن الحاضر حيث الماضي المظلم السحيق فاشرف على شخوص



الحادثة بارزين واضحين مجسمين .

وما ذلك إلا للموهبـــة التي يؤتاها الكتاب البارزون الذين يتمكنون بسببها من استخراج اصغر الأمور واستظهار أدق الحقائق .

ولقد اندفع الاديب رجيب - في غير هـذا يحبر المقالات بصحف النجف كلها وبجميع جرائد بغداد ومجلاتها حتى ظهرت مقالاته وآراؤه متميزة باللون الثوري الذي هو نتيجة لتأثير الثورات الوطنيـــة في نفسه وعندئذ عرف الاديب رجيب باصالة الرأي واستقلال الذهن وحرية العقل وانطلاق النفس ونضج نضجاً سياسيا الى جنب نضجه الادبي فالتقت فيه شخصيتان شخصية الاديب الدقيق الحس المرهف الشعور الموار العواطف المتبلور الذهن المتوقـد الخاطر وشخصية السياسي الحكيم الرأي النافـذ البصيرة البعيد النظر الجرىء العقل، الامين في قوله وفي عمله .

هذه اشارات ضئيلة الى تأثير الثورات الوطنية في كيان يوسف الشخصي وفي حياته العقليه وهذه اشارات الى الافكار التي انبعثت في نفس يوسف منذ زمن الثورات الوطنيه فاصبح ادبه ادبا ثوريا سواء في توخيـه للالفاظ الجزلة الفخمة أو في قدرته على السبك والتأليف بين الالفـاظ المتنافرة أو في حصره انتاجه الادبي في مواضيع عربيه خالصه وكل هذه في رأيي ضروب من الشعور الثوري الذي كان يظهر حتى في ابسط كتابات رجيب ، إذ ان

من خصائص الكاتب الثوري هو ان تحس — وانت تقرأه — بانه يقربك الى روحه ، يجذبك اليه حتى يفرغ في قلبك كل ما يحمل من المعاني والآراء ، وتحس — وانت تقرأه — انك انسان مجبول على نكران الباطل مفطور على الجهر بالحقائق ومتعود على الدفاع والثورة في سبيل الفضيلة . وهكذا كان الاديب رجيب .

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books

يوسف رجيب والمتنبي

قلت عن الاديب رجيب في صدد الكلام عن اثر الثورات الوطنية فيه : أن أدبه يمتاز باللون الثوري ، ولا اقصد من الثورية هنا الاندفاع الارعن ، والتحرش الاهوج ، والخروج على النواميس ، والتمرد على الاخلاق ، وانما اشرت بذلك الى معنى الثورة العميق الاصيل ، وهو الهزات التي تحدث في الفرد استجابة للانفعال المستمر الذي يتناول كل خلية من خلايا المادة ، إذ أن كل شيء من تفاعل وتطور وتلاقح إن هو إلا نتيجة لحركة ثورية صاخبة ، تشمل كل مظهر من مظاهر الكون .

واريد أن اقول الآن : ان هذه الحركة الثورية الكبرى هي أثر من آثار فاعلية روحيـة مسيطرة على المادة ؛ إذ بمجرد حدوث أقل حركة أو هزة في اعمق مطاوي الوجود ، فان كل جزء من اجزاء هـذا العالم يتأثر وينفعل ، ويتوجـه مطاوعا لما يحتمه الواجب الابدي ، فكل رأي ، أو فكرة ، أو خاطرة ، أو همسة من همسات النفس ، أو خلجة من خلجات الضمير ، تنفعل لها خلايا دماغي ودماغك ، ان هي إلا استجابة لداع ثوري مطلق ، يسيطر على كل

الحقائق ، ويتحكم فيها بفعله وهيمنته ، والدم الذي يجري في عروقي وعروقك ، والقوة التي تتحرك بها اعصابي واعصابك والغاية التي تترتب من أجلها وظائف أعضائنا ، والكيان الذي تنتظم فيه ذواتنا كل هذه امثلة من الثورة الكبرى في الوجود ، وهذه الثورة التي هي حركة انفعالية ، والتي تتزاوج وتتناحر وتتفاعل فى خلالها الموجودات المادية ، هي نتيجة حتمية لفعل ازلي ، يشع على جميع الموجودات ، فيبعث فيها الحياة والحركة والنور ، ويصيرها جارية على أساس قصدي لا يتسرب اليه النقص والفوضى .

ونتيجة هذا ان الحركة الثورية في الكون طبيعة لازمة وان هذا فى رأيي هو المعنى الايجابي للوجود ، إذ كل شيء متحرك ثائر في الوجود ، فهو ايجابي ، ولا شيء في الكون ساكن ، أو جامد متحجر ، حتى يدخل السلب في مجارى الكون إذ السلب أمر عارض أو حالة وهمية ، ليس له تحقق وجودي ، يظهر بالتحديد والتخصيص .

واذا كانت الثورة طبيعة ولازمة في جميع مناحي العالم فانها أى الثورة كذلك تصدق على افكار الافراد حتى في ابسط اعمالهم ، وكذلك لما تساوق مع عقل الشخص واحساسه فكلما اتسع عقله وازداد احساسه وقوت النزعة الاصلاحية فيه ، واخذ يشعر شعوراً صادقا من اجل مطلق الحياة ، لا من اجل حياته الخاصة ، يكون عند ذاك نصيبه من الشعور الثوري المستجيب لثورة الكون الكبرى كنصيبه من الاحساس بالمسائل الخارجة عن ذاته وعلى هذا المقياس كان اكثر

الناس « ثورة » بدافع الشعور الكلي الذي يخضعون له ، هم الأنبياء، المسؤلون عن اصلاح العالم كله ، ويأتي بعد أولئك رتبـــة الشعراء (الكبار) الذين تدعوهم دواعي عميقة ، من دخائل البيئات التي يعيشون فيها ، فيصبحون ناطقين عن رغبات اممهم وآمالها وامانيها والفرق بين ثورة النبي ، وثورة الشاعر الخطير ، أن النبي تتجسد فيه ارادات العالم كلها ، وتعاضده عوامل شتى من الطبيعـة ، لنصرته وتوسعة الجو لدعوته ، وما هذا إلا لأنه يدعو بثورته للوجود كله ، فهو لا يحتجن من قبل جماعة دون اخرى ، ولا يستبد به قوم دون آخرين .

اما ثورة الشاعر ، فلا تتمثل فيها إلا ارادات قومه ولا تظهر فى قلبه إلا رغباتهم ومسراتهم واحزانهم ولا تنطبع في فكره إلا صورة المثل الأعلى الذي تعمل امته ، أي امة الشاعر جاهدة من اجل الوصول اليه ، فكل شيء تتصف به طباع قوم من الناس ، فانه يظهر واضحا بارزاً فيما يقوله شاعرهم ، وحينئذ اعود الى القول : انني لا اقصد من الثورة معناها الفردي الذى لا يمثل إلا ارادة الشخص الثائر ، بل اقصد من نعت ادب الاستاذ رجيب باللون الثوري ، تقرير الثورة القومية المتجلية فى ادبه ، وبروزها بروزاً واضحا ، يكاد يفني فردية رجيب ، ويذيب شخصيته الذاتية ، فيلحقها بالمعنى العام للقومية العربية والحد المشترك بين جميع العرب .

ولقد اعجب رجيب بالمتنبي وهو شاعر الامة العربية حقاً ، الذى

تظهر فيه ادق المعاني الرابطة بين نفوس العرب ، يظهر فيه شعورهم بضرورة الوحدة ، التي تجمع تحت مفهومها ابناء (الضاد) ثائرين للحق ، منتقمين من الباطل ، صارخين ضد الظلم ، وتبدو فيه ايضا عواطفهم متفجرة غضباً وحماساً وتحرقا ، لما اصاب العرب من التشتيت الممزق ، والفرقة المبددة ، والتدابر المهلك ، ويظهر فيه ايضا على وجه الاختصار العالم العربي بكل ما يعتلج ويجول ويضطرب في نفوس ابنائه .

أجل ان المتنبي شاعر القومية العربية حقاً ، ولقد وجدنها مصدراً لكلما يريده الشاعر « الخطير » ولقد وجدت فيه القومية العربية كل صفة تؤهله لأن ينوب عنها في ابداء خواطرها امام العالم اجمع .

وليست كل امة من الامم تحتاج الى الشاعر (الخطير) يرسم خواطرها ، ويطبع افكارها ، ويصور امانيها . ويجسم رغباتها ، فيقدمها للحياة والطبيعة مقرة معترفة بأنه رسول هذه الامة الى المجتمعات ولسانها الصادق الامين .

اقول ليست كل امة تحتاج الى هذا الشاعر ، لأن بروز هذا الشاعر في امة من الامم ، يتطلب مقدمات ويستلزم خصائص ، ويريد مؤهلات يجب ان تتوفر في هذه الامة ، وإلا فانها تظل فاقدة لهذا الشاعر الذي يجمع مطامعها ومطامحها ، ويحمل رسالتها وتعاليمها ، وا كاد اقول : ان هذه الشروط التي ذكرت ، تنحصر في الوحدة القومية للامة ، فاذا حصلت الوحدة القومية لهذه الامة فانها ، بطبيعتها

تخلق الشاعر (الخطير) .

وتقوم الوحدة القوميه على امور جليلة خالصه منها شعور افراد تلك الامه بميول نفسيه متأصلة ، تتجه بهم نحو رابط ذهني من بواعث الذكريات التأريخيه التي يتساوى في الاهتزاز لها ، والانفعال لمداليلها كل افراد هذه « القوميه » على اختلاف مبادئهم واديانهم ، ومنها دمج ابناء هذه الامه في وحدة عقليه نابعه من اللغه التي تضم تحت ظلالها ومخارج احرفها جميع الاحاسيس والاغراض والامال وكل ما تريد أن تعبر عنه تلك الامه مما تزخر به مشاعر ابنائها ، ومنها قيام فلسفه منطقيه توجه عقول ابناء هذه الامه الى مثلهم الأعلى الذي يلحقهم بكاية الكون الكبرى ، اذ الامة التي تمتاز بمذهب فلسفي هي التي تحمي نفسها من ولوج مذاهب فلسفية اخرى ، لا تتمشى مع قيمها ، والمعاني الروحية التي تنشدها .

والامة العربية قائمة على هذه الوحدة القومية المعززة بهذه الشروط التي الممت اليها ، ولقد تميزت « بجامع روحي » وهو الاسلام الذي هذب العقلية الفلسفية للفرد العربي بتقرير التوحيد من طريق منطقي ثابت .

فالقومية العربية مؤهلة لأن تخلق شاعراً خطيراً ، ينطق عنها ، ويمثل ابعد الاجواء التي يحلق فيها الفكر العربي ، ثم هي مبنية على دعائم متينة راسخة من وحدة الشعور ، ووحدة اللغة ، ووحدة التاريخ وحينئذ اخرجت المتنبي شاعر العرب الاكبر ، وداعي الثورة العربية

الكبرى .

فآية العرب القومية الرائعة التي يجب ان يفاخر بها شباب العرب ، ويستدل منها على وجوب وحدتهم ، وضرورة تقوية صروحهم ولزوم لمّ اطرافهم في امة واحدة تنطق « الضاد » وتقدس (القرآن) وتهتف باسم « محمد » وتحارب الظلم ، وتدعو لخير الانام طراً ، كما دعا « محمد » وتدعو تعاليمه الى آخر الزمن .

آية العرب القومية هو ابو الطيب المتنبي اذ تطفح في شعره كل خاطرة من خواطر التوثب القومي ، وتبدو من الفاظه كل حقيقة من الحقائق التي يجاهد العرب من اجلها ، وتظهر في ابياته صور حمر قانية لكل قطرة من قطرات الدم العربي الذى تعود أن يسيل دائماً في سبيل الفضيلة الانسانية ، ومن اجل الخير البشري ، ويلوح في شعره ابعد مرامى الطموح العربي الواسع .

أجل : المتنبي هاتف الثورة العربية الكبرى وبشير الوحدة الكاملة لأبناء « الضاد » وعلى لسانه تدوي كلمات العرب ، تملأ سمع الدهر جلالا وروعة ، فعلى العرب في ثورتهم الحاضرة ، ان يجعلوا المتنبي نبراساً ساطعاً ، يمزق اغشية الظلام ، ويبدد حجب الباطل ، ويطرد اسباب الضعف والخور والاستسلام ، ويقضي على بواعث الانحلال والتأخر والانحطاط بتعاليمه الحكيمة ، وآرائه البليغة ، وحماسه الذي يتفجر ثورة وانتقاما .

ولا عجب إذاً أن يتأثر الاديب رجيب بالنزعة الثورية لشاعر

العرب ، فيصبح ادبه ثوريا سواء في مقالاته بجريدة (النجف) التي كان يتلوى فيها من الألم والغيظ بسبب تأخر الحل في جميع بلاد العرب ، وبسبب الاعتداءات التي تقع على زعماء العرب من الاجانب الغاصبين فلقد تفجر حماساً في هذه الجريدة لشهداء الريف ، ولاعتقال زعيمهم العظيم (عبد الكريم الريفي) عندما تضافرت ضده الدولتان الاثيمتان « فرنسا واسبانيا » اللتان لا تجنحان الى الصدق ، ولا أثر للفضيلة عندهما ، ولا تتمسكان باي شرط انساني يردعهما عن الغي والضلال ، ولقد تحمس ايضا في هذه الجريدة لشهداء سوريا ولكل صريع يخر من أبناء (الضاد) بسيف الباطل الغشوم ، أو في مقالاته في جريدة (النهضة) لسان حال (حزب النهضة العراقية) تلك المقالات التي تزيد على تسعمائة افتتاحية ، كتب اغلبها للمطالبة بالوحدة العربية ، واستقلال العرب ، واستقلال العراق خاصة . أو في مقالاته (بالاعتدال والعرى) وجميع صحف بغداد الوطنية . فلقد كتب (رجيب) كل هذه المقالات باسلوب ثوري ، يقذف بالحمم ويرمي بالشرر .

ولا عجب ان يتأثر (رجيب) بنفسية المتنبي ويخضع لاندفاعاته وخواطره لا عجب في شيء من هذا ، وانما العجب كل العجب أن لا يتأثر بالمتنبي كل كتاب العربية المشتغلين بالدعوة لوحدة العرب. لماذا لا يتأثر اغلب كتاب العرب القوميين ، كما تأثر رجيب بالمتنبي فاتخذ منه سبباً فعالاً في اثارة العرب نحو المجد الباذخ والبطولة الجبارة .والسؤدد الرفيع والمزايا العالية. المسألة في رأيي مسألة استعداد وقابليـــــة . أو مسألة تناسب في

النفوس . وتشاكل في الطباع . وتجانس في العقول . وتوافق في الخواطر . وتطابق حتى في الحركات والاعمال ، فلقد صار رجيب مثلا تاما المتنبي . لكن ذاك شاعر وهذا ناثر . ولقد وجدت في نفس رجيب امور تستدعي ان تنطبع في ذهنه كل فكرة من فكر المتنبي . وان ينصب في قالبه وينصهر في بوتقته . ويخرج مثلا صادقا من الامثلة التي خلفها المتنبي في المجتمع العربي . حيث كانت تظهر معاني المتنبي وافكاره . والفاظه في ابسط كتابات رجيب واقواله . حتى انطبع هذا الاديب على التوجه مع المتنبي حيثما يتجه بشعره وفكره .

والذى يريد أن يدرك المناسبة التي القت الاديب رجيب في هذا اللون من الاغراق في الاعجاب . واعانته في اتجاهه نحو المتنبي الى جنب استعداده وقابليته عليه ان يتتبع الظروف والاوضاع التي احاطت بنشأة رجيب ويدرس البيئة التي تربى فيها ويعرف فساد الحياة الاجتماعية قبل ثلاثين أو اربعين سنة في العراق ويوازن بين هذه الاوضاع والحالات وبين ما كان يكتنف المتنبي ، ويستوعب حياته من تبلبل في الافكار . وتشعب في الآراء . وتباين في الميول والمشارب . وتضاد في المذاهب والنحل . وما صحب هذه الحقائق من فساد عام شامل لجميع البلاد العربية بسبب ماحدث في داخل هذه البلاد من ثورات تافهة السبب . تحصد النفوس والاجساد اما في سبيل الدعوة الى الامير فلان . أو سبيل الدعوة للمذهب الفلاني ، او بسبب نزعة شعوبية ـ وهو الاعم الاغلب ـ يقصد منها تهشيم العرب . والقضاء

على قوميتهم .

الذي يتتبع ما ذكرناه يجدان الرجلين جد متشابهين في احداث عصريهما . وفي تأخر الحيـــاة التي عاش كل واحد منهما فيها ، نعم ما اشبه العصرين ! الذين عاش فيهما رجيب والمتنبي . إذ الامـة التي جاء فيها رجيب والمتنبي واحدة . والبلد الذي نشأ فيه واحد . واللغة التي نطقا بها واحدة . والرجات التي سبقت وجود كل واحـد منهما متشابهة جداً . إلا ان هناك فرقاً . قد يزيد وجـه الشبه بينهما احكاما وتوثيقاً . وهو أن المتنبي كان في أثناء شيخوخة الأمة العربية . وتدهور الاحوال فيها . وانحلال الاخلاق بين ابنائها . بعد حضارة زاهيـة صاخبة .غازية فاتحة . استمرت تغير وتهاجم اربعة قرون كاملة ، دون أن تكل أو تمل .

ووجد يوسف رجيب فى أول دبيب اليقظة في عقول العرب بعد تسعة قرون ، قضوها فى سبات عميق ، يئنون تحت كابوس ثقيل ، حيث تقطعت اشلاؤهم . وتشتت اطرافهم . وتهدمت معالمهم ، ودرست آثارهم ، وتجزأت قوميتهم متلاشية متحطمة بسبب اطماع المسيطرين والغاصبين، أجل ولد رجيب في نهاية عصر خارت فيه العزائم ، وفترت الهمم ، ومرضت القلوب واظلمت المشاعر ، وعميت البصائر ، ووهنت المدارك . وتحجرت العقول فى نهاية زمن الاتراك ، زمن الذل والاستعباد وجد المتنبي فى آخر نشاط العرب القومي ، ووجد رجيب في أول تحرك العرب القومى مع ان كل واحد من الرجلين ، يحس بالاحساس

الذي يحس به صاحبه فالمتنبي كان يعمل ويجاهد من أجل ان يطرد نزعات الشعوبيين والعابثين في المجتمع العربي ، ويندفع محاربا مع (سيف الدولة الحمداني) وفي نفسه الشعور الذي يحتم عليه أن يدعو لاعادة الكرة العربية التي خمد أوارها ، وذهبت ريحها . ويوسف رجيب جاء يعمل ويجاهد في كتاباته في « النهضة » وفي جميع الصحف الوطنية في العراق للاهابة بالعرب ، وللوثوب بهم نحو الحياة الصحيحة التي فارقوها منذ تسعة قرون خلت فليس هناك فرق بين الرجلين من أجل وحدة العرب ، فكلاهما جاهد ، وكلاهما عمل للوحدة العربية . وللنوع العربي الخالد ، إلا ان المتنبي العظيم هو المصدر الفعلي لآراء الاديب رجيب وخواطره ، وهو الذي مده بهذا التيار المتدفق الذي نحسه في آراء رجيب وافكاره .

كان من اللازم اذاً ان يعجب رجيب بالمتنبي ، ويتخذ منه دليلا له في انتاجه اذ من الضروري لعربي مجاهد كيوسف رجيب ان يتصل بالمتنبي ، وهو في بدء حياة تتطلب الجد ، وتستلزم العمل العنيف .

لقد برز الاديب رجيب للجهاد القومي . وفي جوانحه اللهب الذى كان يحرق اعلاق ابي الطيب وفي روحه الشعلة التي كان يهتدي على ضوئها في جهاده الشاق الموصب .

تقدم رجيب يحبر المقالات التي تثير الهمم . وتستفز النفوس في جريدته (النجف) قبل اكثر من عشرين سنة مطالباً باطلاق الزعيم « عبد الكريم الريفي » البطل العربي المعروف من سلطة فرنسا العاتية

في زمن كان يجهل شمال العراق جنوبه . وتتنكر كل جهة منه للجهة الأخرى . حيث قد كن جميع العرب والعراقيون بالاخص في ظل حياة بدائية طائفيــة اقليمية . تصد اشجع المصلحين . الداعين الى النهوض والتقــدم . وتسلم رجيب جريدة « النهضة » ببغداد قبل عشرين عاما تقريبا . فكتب فيها أكثر من تسمائة مقال افتتاحي . وكلها دعوة وتحمس ومطالبة بالتجديد والتحرر ، باسلوب جزل متين ولفظ رصين مركز . يندر وجود مثله في أول نهضة العراق الوطنية .

ولقد كان من الاصالة في الرأي . ومن البعد في النظر ، والحصافة في الذهن . ان يستعين الاديب رجيب باقوال المتنبي في جميع كتاباته وتتشبع مشاعره بتعاليمــه ودروسه . حتى كاد يصبح صورة منه واعتقد ـ أنا ـ أن أبا الطيب لو وجد في الزمن الذي وجد فيه رجيب لما استطاع ان يزيد على ماعمل يوسف رجيب في سبيل القومية العربية ذرة واحــدة . إذ لم يكن هنا في هذا الزمن من يسبغ عليه العطايا . ويضفي عليه المنح ويجلله بذلك الوفر الذي يريحه من الهم في امر المعاش . ويطرد عنه الخوف من الفاقة .

أجل لا يوجد في هذا الزمن من يخلق من المتنبي صوتا عاليا مناديا ـ كما كان ـ يصيح بالعرب شرقا وغربا مهيبا بهم للحرب والجهاد . واذا كان الأديب الحر المجاهد رجيب بهذه الرتبة بالقياس الى النهضة العربية الحديثة فما على شباب العرب اذا ما تطارحوا بينهم أحاديث المجاهدين والشهداء والمصلحين الذين احرقوا انفسهم وقلوبهم في

سبيل القومية العربية . ماعليهم إلا ان يجعلوا الأديب رجيب من أول أولئك إخلاصا من صميم القلب وثورة في القول وصدقا في الدعوة يكاد يترك صاحبه جمرة يتلظى غضباً وتوجعا من اجل الوطن والجهاد العربي .

ولا أود أن انهي البحث حتى نفهم أنا والقارىء مقدار استعداد الاديب رجيب لفهم ارجح أغراض المتنبي والنهوض باجل الامور التي توخاها في حياته . فلقد تعشق يوسف المتنبي لاسباب يؤول أغلبها الى عناصر متجانسة في نفسي الرجلين والى خصائص وعلل تتعلق بالوطن العربي وترجع الى هياج النفس العربية وتطورها ونزاعها وعراكها من أجل ان تخلق لها مكانا في هذه الحياة . ولقد كتب الاستاذ رجيب مقالا في مجلة الاعتدال تحت عنوان - واجب وزارة المعارف تجاه أبي الطيب - دعا فيه جميع شباب العرب للاحتفال بمناسبة مرور الف سنة على وفاة المتنبي وأراد أن يكون هذا الاجتماع الذي يتبارى فيه ادباء العرب وشعراؤهم فى الاشادة بذكر ابي الطيب فى مسجد الكوفة ، حيث تجتمع العبرة والدرس والحكمة والروحانية الصادقة من حكيم الاسلام الامام علي بن ابي طالب (ع) مع ادب المتنبي ، وحماسه القومي ، ولقد دعا في هذا المقال جمع شباب العرب لتفهم اغراض المتنبي ، وللاقتداء بما كان يشتمل عليه ادبه من سنن ناصعة ، وحكم صادقة ، وعبر خالصة ، حتى يندفع شباب العرب الساهر المجاهد الى تحطيم الاصفاد ، وفك الأغلال ، الآخذة بالنفوس ،

والقلوب والأفئدة .

ومن شدة اعجاب رجيب بالمتنبي، أخذ يدعوه مرة بالقائد العسكري الأعلى وآناً يدعوه بشاعر الدنيا، وطوراً يدعوه بحكيم الدهر، ولقد كان يشفع هذه الدعوة الصادقة، ويوازن بين هذا الأعجاب الروحي المؤسس على اعتبارات معنوية ثابتة، ذوق رفيع في تخير الآراء، وانتقاء الأفكار، وانتخال المعاني وفكر يقظ في تتبع الاهداف، واقتفاء المقاصد، واستقراء الغايات، وعقل رزين في موازنة الحقائق والنسب، واستخراج النتائج، ولهذا كان اعجاب الاستاذ رجيب بالمتنبي اعجاب الرجل الواثق من صحة ما يعجب به . ولهذا ايضا جاء كل ما قاله رجيب، كأنه قطع متوجرة نافذة من قلب شاعر الدنيا .

وأريد أن أقول للقارىء : ان اعجاب رجيب بحكيم الدهر معناه اتخاذ مثل أعلى في القول والعمل، اذ لا يوجد في رأي الاديب رجيب كلام ينطق به عن رغبات العرب وآمالهم إلا في شعر أبي الطيب .

وليسمح لي القارىء بان أمشي به خطوات، نتتبع بها غرض الاستاذ رجيب من نعته للمتنبي بهذه النعوت، وليصغ لي القارىء عندما افسر له المعاني التي كان يشير اليها رجيب في وصفه المتنبي هذه الاوصاف .

ان الاستاذ رجيب ليقصد من نعته للمتنبي بانه شاعر الدنيا غرضا بعيداً قد يغيب ويعزب عن بال كل من لم يتصل بروح رجيب وعقله

فهو يريد بذلك أن الأمة العربية أول أمة عملت على توسيع النطاق الروحي في الدين والفلسفه والأخلاق فقد جاءت الأمة العربية بالاسلام حاملا للعالم مشعل الحرية ونبراس الفضيلة ومعنى الخير ومقرراً حقوق الانسانية العليا ومنتزعا من صميم الفطرة البشرية كل ما يقضي على جميع الزوائد التي تقطع الصلات بين الناس . وتمخضت فلسفة العرب التي جعلت البرهنـة على التوحيد أرقى مظاهر الفلسفة وآخر غاية من غاياتها عن نظريات وآراء في الفلسفة الروحية لا تحصر في امة دون أخرى. واشتهر الفرد العربي بالنزوع النوعي في اخلاقه وطباعه وكرمه وطول يده وتشدده بالفضائل فالعربي نوعي مثالي انساني .

وإن امة تتصف بهذه الصفات لحرية أن تدعو للعالم اجمع ولقمينة أن تتبنى جميع الدعوات الروحية الناشدة تحرير العالم من ويلات الشرور وعلل الفساد وأسباب الصغار والضعة والذل ، ولخليقة أن تربي في ارواح ابنائها جلال الايمان وقدسية الشعور بالواجب وفكرة الموت من اجل الفضيلة العليا للانسان ، فهذه الأمة التي عملت وجاهدت وستعمل وتجاهد من أجل تجديد الحياة وترقيـة النوع هي التي يطلق المجاهد الحر رجيب على شاعرها إسم شاعر الدنيا فما دامت هي امة الخير والفضيلة والعطف على كل مظلوم — وكنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر — فبالوجه الأولى يكون شاعرها والمصور لأحزانها ومسراتها المتنبي شاعر الدنيا لأنه شاعر الأمة العربية . أما نعته لأبي الطيب بحكيم الدهر فقصده منـه ان المتنبي

قد خلق في عصر امتلأ العقل العربي بالفلسفة والفن والادب ، وفي زمن النضج الفكري بالحكمة التي وعاها العقل العربي وأحاط بها واقتطفها من جميع فلسفات العالم ، فاصبحت حكمة الدنيا كلها مستقرة في بلاد القرآن ، حتى صار أبسط الكتاب والشعراء يتأثر مجبوراً بالقدر الذي يلائم مزاجه من هذه الحكمة الأنسانية التي اشتملت عليها كتب العرب في حضارتهم الاسلامية فما ظنك بشاعر العرب الاكبر وماذا يكون نصيبه من هذه الحكمة وهو الشاعر المطبوع الذي لا يتكلف ولا يتعسف في اخراج ما هو خليق بشاعريته بل يأتيه كل ما يريد من المعاني منساقا طائعاً ؟ ؟ أجل ماذا يكون نصيب دماغ ابي الطيب المترع بأروع صور الوجود من تلك الحكمة الرفيعة الخالدة المتجددة مع الزمن الباقية بقاء الدهر .

إن حصة المتنبي من هذه الحكمة جليلة وعظيمة جداً حيث أدخل في شعره اروع الحكم الانسانية الخالدة وضمن الكثير من قصيده اروع المعاني الناطقة بالبقاء والخلود ، وليس من الغريب ان نقول إن سبب خلود المتنبي هو هذا الانطباع العجيب على النطق بالحكم الوجودية الحية الخالدة ولذا صار المتنبي حكيم الدهر برأي الاستاذ رجيب ، وهو ايضا حكيم الدهر لانه شاعر الامة التي اجتمعت في لغتها حكمة الدهر « القرآن والفلسفة الروحية » لم يخطأ الاستاذ رجيب في نعته وفي إعجابه ، بل اصاب كل الاصابة ، وصدق كل

الصدق شأنه في كل اقواله وأعماله .

وأقول أخيراً إن النتيجة الحتمية لتأثر رجيب بالمتنبي والاثر الفعلي لهذا الاعجاب الشديد ، هو تلوين رجيب وتكييف روحه ومشاعره وعواطفه وطبيعته بالنزعة الثورية النوعية عند أبي الطيب ، فاصبح رجيب وكأنه اتون يرسل اللهب المفزع والشرر المتطاير .

لقد اعجب يوسف رجيب بالمتنبي لانه وجد منه روحاً قوية صادقة في إيحاء المعاني وبث الأفكار ، ولقد اعجب به لأنه وجد منه عونا له في دعوته وجهاده من أجل وحدة العرب وإصلاح الحياة القومية في وقت كان فيه الذين يدعون الى الوطنية يعدون بالاصابع .

رحم الله الاستاذ ابا بيان لأنه أول أديب عربي استعار روح المتنبي في جهاده ضد الظلم .

اخلاق وشخصية

قلت في اثناء الكلام عن الاستاذ رجيب والمتنبي ان الفرد العربي نوعي باخلاقه ، واريد الآن ان اجعل هذا المعنى تمهيداً للحديث عن اخلاق الاديب رجيب اذ الحديث عن اخلاق رجيب يتطلب بطبيعته خوضه من طريق عميق متين ويستلزم - حتما - النهج اليه على اساس منطقي .

اريد بهذا ان القيمة الخلقية قد تطغى احيانا على ذات الشخص كلها فيصبح الشخص وكأنه صورة لكل مافي رسوم الاخلاق وقوانينها من أوامر عقلية وشروط روحية وضوابط معنوية . وقد تضعف هذه القيمة في بعض الاشخاص فتفرغ روح ذلك الشخص من كل وازع نفسي ومناعة عقلية ، ويوسف رجيب من أولئك الخلقيين الروحيين الذين يعيشون في الحياة من اجل تصديق الخلقية والروحية التي الزم الانسان بالعمل من اجل الخضوع لها والرضوخ لزواجرها والانقياد لمطاليبها والاقلاع عما لا يوافقها .

أقول : (الفرد العربي نوعي باخلاقه) وتفسير هذا يا اخي القارئ أن الفرد العربي مثالي روحي يعتبر المسائل كلها اعتبا[illegible] يا وتقيد

نفسه بروابط الاخلاق على نهج كلي مستقى من التعاليم الروحية المخزونة في ذات الفرد العربى والتى طفح بها عقله فاضاءت العالم وستضيئه الى آخر الدنيا .

فالذاتية العربية متصلة بالعالم بسبب مافي نفس العربى من التطلع المثالي والتوقان العرفانى والشوق الى الاتصال بحقائق الحياة العليا .

أجل ! ان الذاتية العربية متصلة بجميع جهات العالم ، ولذا تتمثل فيها النوعية الخلقية التي هي أصدق مظهر من المظاهر التي تتشكل بها صور الوجود ، فنوعية العربى الخلقية تبدو في كرمه ، وفى حمايته للجار ، وفى ثورته للعرض ، وفي عطفه وتسامحه ازاء كل من لايسيء اليه وفى تبرمه واشمئزازه من الظلم والعدوان ضد أي قبيل من البشر ويختلف اخلاق العربي عن أي كان من الناس اذ تقوم اخلاقه على قواعد واصول ودعائم لا يتأتى وقوعها في موضع آخر إذ تقوم اخلاقه على الاعتراف — كما قدمنا — بالمفهوم النوعي للاخلاق .

ويتقرر بهذا ربط النفس العربية باعلى الانظمة التى تحفظ الفضائل الايجابية وبسبب هذا ان تكون « الذاتية » العربية متعلقة بالوجود الروحي بمقدار احترامها لنوعيـة الاخلاق وبمقدار عملها على تثبيت الشعور المثالي بين الناس .

وتقوم على الاستهانة بالامور النفعية التى تمنع الخاضع لها من التمسك بكل صفة روحية وتبعد به عن تذوق المباهج المعنوية فى الوجود وتترك منه جسما متحركا على طريقة آلية محضة .

وتقترن الخلقية العربية برجولة صلبة وتتميز بترفع سام عن الملق والكذب والتصاغر ولذا فان العربي بشروطه الخلقية التي حملها على نفسه لا يتذبذب ولا يقصد من ورائها اجتناء نفع أو مدح .

وتقوم على الاصالة التامة في النزوع الخلقي ، فالفرد العربي بعيد عن التكلف ، والتجني ، والمن ، والتطاول ، وهو يجري في كل اعماله الخلقيـة على طبيعة متمكنة فيه ، ممزوجة بمشاعره ، متغلغلة في ذاته كلها .

وتقوم الاخلاق العربية ايضا على (الايمان) والايمان بمعناه الدقيق ، هو الشوق الذي يدنو بالنفس من حدودها الفائتة في انحاء الوجود ، وهو الذي يقربها من تفسير ما يتطلبه بروزها في عالم المواد والحدود ، وهو الآصرة التي تصل النفس الجزئية بكلية الكون الكبرى أي تصلها بالعالم الشامل لجميع الذوات والاجزاء ، وهو الذي يملأ بواطن النفس ، ويصب في كل جارحة من جوارحها ضروبا من القوى الارادية .

والعربي مؤمن ، وايمانه هو الذي يجعله يبعد بفهم علل القوانين الخلقية الى تفاسير نوعية انسانية ، من شأنها ان تنفع الناس جميعاً ،

نعم العربي مؤمن بنفسه ، والايمان بالنفس اقوى مراتب الايمان ، ومؤمن بكل ما يحيط به من حقائق الحياة ، ومؤمن بامته ، وبحقوق الامم الاخرى التي لم تضمر لامته الشر ، ولا تتحين لغزوها والتسيطر عليها الفرص ، وبعد هذا العربي مؤمن بالوجود كله ، وبمصدر النور

والخير والحق .

وفقيدنا الاديب رجيب عربي رفيع النجار ، شريف المحتد ، طيب العرق ، وعربي تبنى عروبتـــه على أسمى ما في العروبة ، وهو هدى المعاني الخلقية التي ذكرناها في هذه الاسطر ، اذ في رأيي ان العروبة مدلول قائم بمعانيه ، قبل ان يسند الى لفظ ، يفهم بسببه ، إذ ما العروبة الا مجموعة من القوانين والانظمة والاحوال الخلقية ، المقيدة بارادة الفرد العربي ، وما العربي إلا مثل من هـذه الامثلة التي تشخص فيها هذه الاخلاق ثم أليس المخاطب بهذه الآية هو سيد العرب ونبي المسلمين (ص) « وانك لعلى خلق عظيم »

ولعمري فقد جاء القرآن الكريم ، راسماً أرفع صورة للاخلاق في ارفع انسان من البشر ، وهذا الانسان هو الذي تتجلى فيـــه الارادة العليا للعرب والمسلمين ، ذلك هو الرسول العظيم محمد (ص)

وان حصة يوسف رجيب من هذه المعاني الخلقية العربية ، لحصة جليلة واقعة منها بالصميم ، فيوسف نوعي باخلاقه ، لأنه أوقف نفسه واذاب قلبه في سبيل الجهاد من اجل وطنه العربي ، دون ان يسف فيتقرب الى ذوق فلان وفلان ، كما يفعل غيره من المشغوفين بخدمة الاوثان ، وعبادة الاصنام ، ويوسف اديب روحي ، يستهين بكل نفع مادي ، يجره الى مجافات المثل الاخلاقية المنشودة من قبل الفرد العربي ، وهو بعيد عن كلما يصم نفسه من المطامع والاغراض والانانيات ، والامور الجشعـــة الواطئة التي يتمرغ فيها غيره ،

وإلا لما وصلت حالة يوسف الخاصة الى الضيق الذي شعر به كل صديق له ، فامتلأ قلبه ألماً له ، وتحسراً عليه .

أليس في وسع يوسف — وهو الكاتب اللبق ، والاديب الدقاق النفس ، اقوى العقل — أن يتملق فلانا وفلانا ، فيجلب منهم كل ما يشاء من هذا الحطام الذي يكال بالمكاييل للدجالين والمدالسين ، والمرائين والأفاكين ، ولكل عتل زنيم من هؤلاء الاقزام العلوج ؟ .

فلقد استهان يوسف بالنفع المادي الذي يوقفه على الابواب ؛ لأنه عربي شاعر بمنزلة الاخلاق العربية ، وعمق أثرها في نفوس العرب الأحرار ، أليس من أوليات الاخلاق عند العربي الاباء ، والترفع ، والنخوة والعزة ، والثورة من أجل الكرامة ؟ ويوسف أسبق الناس الى التمسك بهذه الخلال ، لانه خلوق صادق في خلقه ، ولأنه لسان حديد ومقول صلت لهذه الأمة المبتلاة « بدائها المعروف » الذي أعيى الاطباء الحذاق والنطس البارعين عن تعيين الوصفات التي تقضي عليه وهو داء النسيان ، فكم مجاهد عربي كيوسف تحجرت دماء قلبه ، ويبست أعلاقه ، وأذاب الدموع دماً منصباً من جميع عروقه ، لأجل هذه الامة ، ثم تنكرت له ، فعقلت لسانه ، وخنقت انفاسه ، وقتلت كل ملكة من ملكاته ، وانتزعت كل مزية من مزاياه .

ويوسف أصيل في اخلاقه ، عريق في تمسكه بالمعاني الخلقية ، بعيد عن التكلف والتزمت ، والرياء الممقوت ولهذا فقد ظهر الاستاذ رجيب

امام « هؤلاء » الذين تعودوا أن يتصاغر أمامهم بعض الناس ، وتذوب بين أيديهم العواطف ، وتسيل على أرجلهم واقدامهم دموع الضعفاء والساذجين والاغرار .

ظهر رجيب امام هؤلاء بشخصية ادبية صلبة ، تخلق من الانسان جيلا ، يقف امام كل رجة ، ويصمد لكل زلزال ، فيوسف طبع فى اخلاقه ، صلب فى شخصيته ، ولذا لم يكذب على نفسه ، ولم يكذب على قومه ، بل ادى رسالته بكل أمان وصدق .

ويوسف « مؤمن » روحاني الايمان ، قد احال الايمان قلبه وعواطفه ومشاعره الى رقة متناهية باللطف والخفة ، ولقد انطبع بسبب هذا على احترام كل عاطفة ، وعرف بالتواضع الرفيع ، والعفة السامية واشتهر بكل ما يبعث على الالتزام بالحدود الادبية التي يتقيد بها الكتاب الروحيون ، فهو لا يتخلع بما يكتب ، ولا يستبيح لنفسه اللفظ الفج ، والتعبير السمج ، والقول الصلف ، ولا يجيز لفكره أن يلج به موالج الشبه ، ومداخل الريب ، ومسارب الضلال ، ولا يرضى لعاطفته ان تجمح به ، فتنسيه جلال الحق الذى هو من اخص خصائص الايمان .

فيوسف مؤمن وحسبه من ايمانه انه أوصله الى مرتبة المجاهدين الاحرار من ابناء يعرب ، ويوسف مؤمن وايمانه هو الذي يحتم علينا ان نكبره كل الاكبار ، ونذكره مع اصدق العاملين فى النهضة الحديثة لوطن العربي ، ويوسف مؤمن وايمانه هو الذي يشدد الصلة بينه

وبين مجتمعه ، وهو الذي يجعله خلوقا متورعا ، متصلباً بالدفاع عن الخلقية النوعية للفرد العربي .

وختام الكلام ان الاستاذ المرحوم رجيب كان صورة صادقة ممثلة لأرقى محاسن الاخلاق العربية وناطقة باروع المقاصد المستهدفة من قبل تعاليم « محمد » ص : وكاشفة لادق المعاني الخلقية التي يزخر بها القلب العربي .

يوسف رجيب في سوق الشيوخ

شأن الاديب الحر في جميع الامكنة التي يحل فيها شأن النطاسي الحاذق المجرب الذي برع في جس الأنباض، ومرن على تعيين الوصفات، وتعود إدراك الحقائق من وراء ما تتلفع به من الأغشية والحجب، وتتمنع به من المغالق والارصاد، وزوال اكتشاف الخابيء من خلال ما يخفيها من سميك الاغطية وصفيق الاستار، والاديب الحر حينما ينزل مكانا ما، سرعان ما تتسع روحه وتتنبه مشاعره لأن يستوعب كل ما في النفوس التي تقطن ذلك المكان، ولان يلم بكل ما يجول ويخطر فيها . ولان يشتمل - بفكره على - جميع الصور والأشكال التي تتلون بها تلك البيئة أو ذلك المكان .

ولقد حل الكاتب العربي الحر يوسف رجيب في سوق الشيوخ سنة ١٩٣٩ في زمن كان يمور فيه ذلك القضاء وتضطرب فيه الانفس وتصخب المشاعر . كان ذلك القضاء مراحا للدساسين والمخربين ودعات الانحلال والتفكك وغوات الفوضى والعبث وحملة الافكار الطائفية المسمومة، المتبقة من زمن الاتراك المشؤم .

كان ذلك القضاء الوادع الآمن معبثا لطباع صلفة دعرة ولنفوس

خبيثة وطرة ، وملعباً لأفكار الطائفيين (الشعوبيين) الذين يثقل على نفوسهم ويحز في قلوبهم أن يجدوا قبيلة عربية واحدة تحتفظ بمعاني العروبة وتحامي عن أخلاق العرب وتتفيأ بظل وارف من حمى حكم عربي وطني يخاله هؤلاء الشعوبيون نصراً مبينا ضد عنصرهم التركي الذى يحرصون كل الحرص على تثبيت آثاره في هذا البلد .

لقد حل رجيب في سوق الشيوخ سنة ٩٣٥ وهي تغلي وتتميز من الغيظ والعشائر التي تحيط بها أخذت تتهيأ للثورة التي كشرت عن انيابها وهذا الاديب فى هـذه البلدة التي امست عشائرها هدفا لضرب الطائرات ، وارعاب النساء والاطفال ، ثم قضي الامر ودخلت القبائل الثائرة قصبة السوق وأسر الموظفون وصار هذا القضاء العربي اتونا حامياً فيما ينفخ به من النار ويلقي به من اللهب ويتفجر عنه من الحريق .

اسر الموظفون وكان من جملة الاسرى الكاتب الاديب الحر رجيب ، ولـكن الاديب رجيباً لم يؤلمه الاسر والوقوع بايدي الثوار الذين لم يسيئوا الى احد من الموظفين وهم بين ايديهم ، بل اخذ يتلوى من الالم ويتفطر قلبه من الاسف على ما تريد أن تؤول اليه حالة هذه القبائل العربية المسوقة بحسن النيـة وسلامة الضمائر وصدق الارواح والغيرة على حقائق النفسية العربية التي تكاد تعبث بها طباع الدخلاء الشرسة اللئيمة .

أخذ يأن من التوجع على هـذه الارواح العربيـة الخالصة تخر

صرعى تحت يد الموت مع انها يجب ان تدخر لليوم الاعظم الذي يدوي فيه صوت القومية العربيـة مجلجلا في الخافقين مناديا للجهاد الاكبر في سبيل تحرير كل جزء من اجزاء العروبة ، يرزح تحت كابوس الظلم والجور والطغيان .

وبدافع هـذا الشعور أخذ الاديب رجيب يتصل - وهو في الأسر برؤساء حجام والقبائل الاخرى للتفاهم مع الموظفين ولتقريب الآراء والاذواق ولتلافي ما وقع والتحذير مما سيقع ، لـكن جميع ما أراده قد باء بالفشل وصار هواءاً في شبك اذ استمر الحال على ما هو عليه وانقطع حبل الامن واضطربت الاوضاع ، واختلت المقاييس واختلط الحابل بالنابل ، ودخلت في القضية اغراض واطماع ومآرب ، وأخذت التهم تحاك للابرياء والحبائل تنصب للبعيد المنعزل والفخوخ توضع لاصطياد المتجنب الذى لا في العير ولا في النفير ، وحينذاك سحب الاديب رجيب - مع من سحب - الى المجالس العرفية ، متهما بالتحريض على الثورة مع ان رجيباً اديب عربي قومي مشبع بالنزعة الاصلاحيـــة غيور على جميع جوانب الوطن العربي ، غضوب لكل ما يصيب الامة العربية من اية جهة من جهاتها ، مؤمن بان كل ثورة أو حركة أو اخلال بالامن يراد منه الحط من قيمة العرب والعمل ضد استقلالهم والعيث في مقدساتهم ، إن هو إلا وسيلة للاجنبي أو غرض شعوبي يتخـذه اربابه لتجزأة العرب والقضاء على قوميتهم .

وفي رأي الاديب يوسف رجيب أن ثورة قبائل سوق الشيوخ سنة ٩٣٥ إن هي إلا نتيجة لأعمال مخزية،قام بها بعض المغرضين لاستفزاز هذه القبائل العربية ونتيجة لغايات واطئة أرادمنها الدساسون إثارة افكار سخيفة لا يتبنى الدعوة اليها إلا أعداء العروبة وأعداء القرآن ، ويرى الأديب رجيب أن هذه القبائل العربية ليس عليها جرم فيما اقترفت ولا يلحقها إثم لما فعلت ؛ لما هي عليه من الطهارة في القلوب والصدق فى الانتقام من أجل العروبة ، والصراحة المتمركزة فى نفوس ابنائها وعدم الجنوح الى الكذب والمواربة والغش ، والبعد عن الطائفية الشنيعة الدنيئة التي لا يثيرها في بلاد العرب إلا أعداء العرب .

ولقد جاهد الاديب رجيب فى هذه الحادثة جهاد مصلح يتألم لكل لمزة تصيب المجتمع العربي ، ويفزع ضد كل ما يقف في طريق الدعوة الى وحدة العرب من طائفية وإقليمية وغيرهما .

ولقد أخذ رجيب ـ بعد أن انتهى الامر ـ يتصل بالكثير من وزراء ذلك الزمن ويشرح لهم أسباب الثورة وعللها ومولداتها والدواعي التي أوجبتها ولقد اقنع الكثير من كبار موظفي الدولة بضرورة عدم التشدد في امر الثوار ، وفى وجوب التساهل والعطف عليهم وفي لزوم تغطية ما تركته الثورة من الآثار والنتائج ، حيث كان سبب الثورة تافها جداً في أول الوقت إذ كان منحصراً في نزاع دار بين السراكيل وبين النقاشين ـ أي الملاكين الصغار ـ بشأن رسم معلوم

جعلته الحكومة في أول الحكم الوطني للسراكيل على النقاشين وهو مقدار معين من الدراهم على كل نخلة وكل مشارة ، ولقد كان من حق الحكومة في ذلك الزمن أن تحقن الدماء بالانتصار للنقاشين ضد السراكيل فتلغي هذا الرسم المسمى بـ (السركالة) وعندئذ تكون قد قتلت جرثومة الثورة واستأصلت شأفتها وقطعت دابرها واجتثت عروقها قبل ان تستفحل فتؤدي بتلك الانفس والاموال . ولكن شاءت بعض الاغراض ان تتمادى السلطة وتتساهل وتستخف بكل بوادر تلك الثورة ومقدمات تلك الاحداث لأسباب وعلل ومآرب وامراض « قلبية » ليس ثمة مقام ذكرها وتفصيلها .

أجل كانت أسباب الثورة تافهة جداً ولكن قد تفاقم الخطب أخيراً واتسع الخرق على الراقع ودخلت امور لا مجال لذكرها هنا دعت ان يتفق السراكيل والنقاشون وسببت ان تتبنى قبيلة حجام تلك الثورة وحتمت ايضا أن تندثر جميع الأحقاد والضغائن في سبيل طرد الموظفين واحتلال القصبة ، أخالني ثقلت على القارىء العربي وانا أذكر هذه الحوادث المؤلمة التي يحتم علينا شعورنا القومي أن نسدل الستار عليها وعلى كل ما يضاهيها من الحوادث التي تشل النشاط القومي وتعرقل النهضة الوطنية .

وليعلم قارىء هذه الاسطر أنني بعيد بطبيعتي عن التأثر بامثال هذه الأمور ودواعيها واسبابها ، لكني سقتها لأستدل منها على لون صادق من الوان وطنية رجيب وعروبته وبعده عن كل ما يجر الخراب

الى هذا البلد .

فوطنية رجيب المبنية على الفهم التام لمقومات الروح العربية الصميمة وشرف نفسه وترفع طبعه وسلامة ضميره كل هذه اسباب تبعد برجيب عن أن يكون محرضاً أو داعياً لثورة « بدائية » لا معنى لها ولا روح فيها ولا سبب لوقوعها إلا نزعات الشعوبيين والمغرضين الذين يضمرون للحكم الوطني كل الظغينة والحقد ، لأن قلوبهم المحمومة ونفوسهم الشريرة لا يرضيها أن يكون لهذا البلد العربي حكومة عربية صادقة في عروبتها بل يريدون منا ـ دائماً ـ ان نبقى متعلقين بنزعات الاتراك وطباعهم وآثارهم خاضعين معهم لكل ما من شأنه ان يشتت العرب ويعصف بقوميتهم .

ولقد كتب الاديب رجيب انواع المقالات وشتى المواضيع يشيد بها كلها بعروبة قبائل سوق الشيوخ وصدق وطنيتها واستعدادها لأن تضحي كل غال وثمين فى سبيل الوطن العربي .

ولقد ملأ رجيب صحف بغداد والنجف « خاصة الاعتدال » بضروب المقالات كلها إعجاب بسوق الشيوخ وعشائرها وأغلب هذه المقالات هو صورة صادقة لما فى نفس رجيب من التألم والتأسف على تلك الكارثة التي حلت بهذا البلد وبكثير من بلدان الفرات بسبب الاطماع والدسائس والاغراض .

* * *

وأود أن اقول في الختام إن الشباب الواعي في سوق الشيوخ

إذا أراد أن يتخذ له مثلا أعلى في الادب القومي والرجولة العربية وإذا أراد أن يتصل بكاتب يملأ النفوس إيمانا بالعدل وإقراراً بالحق وتصديقاً بالفضائل وشغفاً بالمكارم وتعشقا للخير ونفوراً من الذل وثورة على الظلم واشمئزازاً من الضعة وتذمراً من الباطل ونزوعا للقومية العربيـــة وفضائلها وصفاتها وخصائصها فليقرأ ادب يوسف رجيب .

* * *

وكان بودي ان لا انهي الكلام عن يوسف رجيب وعلاقته بسوق الشيوخ إلا أني أدركت ان البحث سيتصل — حتما — بمسائل واشياء يجنح القلم عن كتابتها ويتلعثم اللسان دون ذكرها إذ ان أغلبها أمور سياسية كانت لها مبررات ومرجحات في ذلك الزمن الذي وقعت فيه ، أما الآن فلم يعد لها أي مكان وليس لذكرها أي دافع .

ولعل في كتاب الاستاذ المرحوم رجيب الذي وعد رئيس قبيلة حجام الحاج حسين الياسر بتأليفه عقب انتهاء الثورة البغية المنشودة والغاية المتوخاة والغرض الذي سقنا هذه الكلمة من أجله فمنعتنا موانع من تفصيله والاطناب في شرحه .

ويقال ان كتاب رجيب هذا كتاب خطير صريح كان اشتغل به منذ مدة وأودعه جميع آرائه ومشاهداته وما اتصل به حسه في اثناء تلك الحوادث ، ولعل الذين يعنون بآثار رجيب

الأدبية والسياسية والذين يدأبون فى العمل من اجل طبعها واخراجها يتوقفون فى اظهار هذا الكتاب الجليل الذي وعد به الاستاذ يوسف رجيب قبائل سوق الشيوخ على لسان رئيس حجام الحاج حسين الياسر .

* * *

فرحم الله المجاهد يوسف الذي خلق من نفسه صورة ينتقش فيها كل حادث عربي .

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

يوسف رجيب واللغة العربية

اعتقد أن اللغة العربية هي أصدق صورة تظهر فيها ذات الفرد العربي ، وهي اصح طريقة لمن يريد أن يدرس النفس العربية ، فيحاول أن يكون له رأيا ، يستطرد منه الى الحكم على حقيقة الحياة الروحية لأمة « الضاد » وآية ذلك أن اللغة العربية لما فيها من الترادف والتشارك ، والتباين فى الالفاظ والمخارج ، ولما فيها من الاسرار التي تضمها علوم البلاغة الثلاثة ، ولما يلحقها من العمق الفلسفي في بحث دلالة الالفاظ على المعاني ، ولما فيها من التعقيد والتركيب والتأليف ، والتقيد بالروابط التي تحفظ النسبة في الاسناد والحمل ، ولما فيها ايضا من كثير من المسائل التي لا مجال لذكرها الآن ، فانها قد اصبحت مقياس النفس العربية ، ومنها يمكن الحكم على مدى قدرة العربي ، وتعلقه بالحياة ، فان سعة اللغة ، وشمول مراميها واغراضها ، وقوة وقعها ، وتعدد اصواتها ، وكثرة التفرد والترادف فيها كل هذه دلائل صادقة على عمق تلك النفس التي تنطق بهذه اللغة ، وكل هذه دلائل على وجود استجابات ودواعي وعناصر طبيعة فى هذه النفس لاستقبال كل شيء في هذه اللغة ، وهضمه واستساغته ، واستمرائه ، واستعذابه

والتعود على التلفظ به .

ولغة الضاد على ما يقال : هي من أوسع لغات الدنيا ، ومن أكثرها اشتقاقا وتعقيداً ، ومن اقربها لأن تكون مستمدة الدلالة على كل شيء في الوجود ، ونتيجة هذا ان النفس العربية التي تنطق بهذه اللغة ، هي ايضا حرية بان تكون متصلة بكل جوانب العالم ، وبان تستطيع بسبب هذه اللغة الواسعة الشاملة ، ان تجد لكل معنى لفظاً يدل عليه ويتضمنه .

فلغـة الضاد هي ثمرة للتموج والعمق والرحابة والشدة والتطلع والتوقان فى النفس العربية .

مثل هذا الحديث كنت أدلي به امام الاستاذ رجيب ، ونحن في مجلس من مجالس (بغداد) ولقد قلت للاديب رجيب بعد ان خضنا في شتى المواضيع التي تتعلق باللغة العربية ، ومستقبل العرب ، والوحدة العربية التي تمتاز هذه اللغة الرفيعة بان تكون رمزاً لها فى جمعها السنة العرب عند النطق (بالضاد)

قلت له : انك يا استاذ حريص كل الحرص فى كتاباتك على لغة العرب حيث انك لا تفتأ تدخل الكثير من الالفاظ الغريبة التي ينبو عنها لسان العرب الآن ، لا لعيب فيها أو ثقل ، كما يتوهمون ، بل لتأثير اللهجة العامية ، المزوجة بالعجمة فى السنة العرب بالوقت الحاضر حتى اصبح الذوق « التقليدي » للعرب ينبو عن الفاظ ، لا عيب بها غير انها تدل على صرامة العروبة ، وشدة شكيمتها وصمودها وقابليتها

لعدم الانفعال ، والتأثر بأي عامل من عوامل الفساد والانحلال .

فقال : نعم . يجب على كل فرد منا نحن المتعلمين الذين نكتب وننشر ، أن نجد وقدر استطاعتنا كل ما يعرض لنا من الالفاظ التي امست — مع الأسف المحض — ثقيلة على الذوق العربي ، الخاضع للعجمة .

ثم ذكرت له ان الكاتب فلانا ، يطالب في احدى المجلات العربية بضرورة تبديل الاحرف العربية باللاتينية ، فقال : هو (فلان) ألم تدر أنه لا يمت الى العرب باية صلة ؟ أولا انه تركي الاصل ، ثم انه بطبيعة الحال شعوبي عدو للعروبة والقرآن ، وهؤلاء الشعوبيون ، هم الذين كانوا فى الزمن الماضي ، يعملون على هدم الاسلام ، وتحطيم الروح العربية التي يتحصن بها الاسلام ، ضد هجمات الظلم والجهل ، وهم الذين عملوا لمساعدة التبشير المسيحي فى لبنان وسورية ومصر و (العراق) وكثير من اقطار العرب ، ذلك التبشير الذي قصد منه أولا وبالذات ، القضاء على العرب وعلى قوميتهم ، ودك كل صفة من صفات قوميتهم ، ثم قال : اني اعتبر كل شخص سواء كان من العرب أم غيرهم ، يحاول الغاء حرف واحد من لغة (الضاد) عدواً للعرب ، وجرثومة ناخرة في جسم الاسلام الذي يعتز باللغة العربية لغة « رسمية » له .

نعم . هكذا كنت أخوض مع الاستاذ رجيب في هذا الحديث ولقد فهمت منه وهو يتحدث عن اللغة العربية ، وعما يحيط بها من اغراض المستعمرين واطماعهم ، ومآرب الشعوبيين وغاياتهم ، انه

اكثر نقمة على شباب العرب ، المتنكرين للغتهم ، المتحذلقين بما لا يزيدهم إلا تدهوراً وانحطاطاً ، وتفككاً من جميع فضائل العروبة .

نعم فهمت من رجيب أنه اكثر نقمة على شباب العرب من أي عدو آخر من الاعداء الذين لا تصلهم بالعروبة أواصر القربى ، ووشائج القومية ، وعلائق الدم .

ومن شغف رجيب الشديد باللغة العربية وتعلقه بها ، وجعلها علامة استقلال العرب ، ودليل وحدتهم ، ومن نقمته على شبابنا المشغوفين بتقليد كل شي اجنبي ، ومن دفاعه عن المثل العليا للاخلاق العربية علمت ان الرجل قد كمل فهمه لقومية العرب ، واخذ يتصل بالحياة الروحية لابناء امته من طريق عميق وهو لغتهم التي تشعر الذي يتكلم بها . بالقوة والحق والفضيلة .

ولاعجب اذا مادافع الاستاذ رجيب عن لغته فانه الرجل ، الذي طالما التهبت كبده ، واكتوى روحه في سبيل الدفاع عن الوطن الاكبر الذي تحل فيه هذه الامة ، وطالما سهر الليالي ، وهو مسهد قلق يدبج المقالات ويحبر المقامات منذراً بالموت ، ثائراً على الشر ، محذراً من صولة الكريم اذا جاع ، صارخا بابناء العرب ، مهيبا بهم الى الموت من اجل الفضيلة والحق ، مذكراً المغرورين المتغافلين بان العرب اقوى من الحديد فى مصاولة الزمن ، واصلب من الجلمود فى مقاومة الكوارث ، واثبت من الجبال في مواجهة الاعاصير ، واعمق من الكهرباء فعلا ، وتأثيراً في كل مايعترض استقلالهم ، ويقف بطريق وحدتهم ، إذ أن بايدي

العربي قوة ، توقفهم امام العالم كله ، لو تضافر ضدهم ، قوة يسطون بها على عروش اعظم الجبابرة ، فينزلونهم صاغرين متواضعين مطأطىء الرؤوس ، ويهجمون بها على اكبر صنم من اصنام الباطل ، فيعصفون به ، ويذرونه مندكا متلاشيا ، ويثبون بها على تحطيم كل عات متطاول يريد انتقاص الفضائل ويحاول احتقار عواطف البشر ، من هؤلاء المتغطرسين الباذخين الذين طالما عفر ابنـــاء العرب انوف امثالهم بالتراب .

وهذه القوة التي بيد العربي هي (القرآن الكريم) هذا (القرآن) الذي يتجلى فيـه أعلا مظهر من مظاهر القوى الارادية في الكون ، ويبدو فيه ابعد مرامي الارادة العربيـة التي تمثلها لغة العرب المحترزة (بالقرآن الكريم) دستور المسلمين ، وآيتهم الخالدة .

فدفاع الاديب المجاهد رجيب عن لغة العرب معناه الدفاع عن القوة المكتنزة في (القرآن المجيد) ثم الدفاع عن كل حقيقة من حقائق العرب متعلقة بالقومية العربية .والقرآن. والاسلام .

وان هذا لهو الاديب العربي حقا .

الخلاصة

اعتقد ان اكثر ما قلته عن الاديب رجيب ، لا يتمشى والاذواق العامية التي لم يقف اصحابها على ما ترك هذا الاديب من روائع تظل ناطقة له بالاخلاص في العمل والصدق في اللهجة ، والثقة بالنفس والوثوق من معنوية الامة التي عمل من اجلها ، واعتقد الى جنب هذا انني ثقلت على (نفر) من الذين يعرفون رجيبا كل المعرفة ، لكنهم كما يقول طه حسين : — لا يعملون ويحز في نفوسهم أن يعمل الناس —

وأعتقد فوق هذا أن في هذا البلد اناسا كثيرين ، تعودوا على الاستهانة بالادباء والحقد عليهم ، والغضب على من يكبر احداً منهم ؛ لأنهم واثقون كل الثقة ، أن لا أحد من غير الادباء الاحرار ، يفضح تكبرهم الفارغ ، وعنجهيتهم المزيفة ، وغرورهم الاجوف ، ونفوسهم الخرقاء القائمة على الضعف والخور . والضعة والمبنية على رخص العواطف وتذبذب المشاعر .

والاستاذ يوسف رجيب من أولئك الاحرار الذين يعملون ليكونوا قذى في عيون هؤلاء ، وشجى في حلوقهم ، وورما في آنافهم ، ويوسف رجيب من الادباء المطبوعين على الأخذ باصلب قيود الرجولة ، والتمسك بارفع المثل المعنوية ، والاعتماد على قلوب أبية تزدرد العلقم في سبيل المحافظة على الكرامة ، وتستلذ الموت من أجل عزة النفس ، وتستصغر اخطر العظائم لأجل الفخر والسؤدد

ويوسف رجيب من القانعين الصابرين المحتسبين الذين تبعد بهم قناعتهم عن كل ما يلطخ نفوسهم ، ويصمد بهم صبرهم حيال كل ما يصم ذواتهم ، فالكتابة إذاً عن الاديب يوسف رجيب ، أو الكتابة عن كل حر من المجاهدين الصادقين . تؤذي هؤلاء ، وتثقل على قلوبهم وارواحهم .

واعتقد بعد هذا أن في هذا المجتمع أرواحا وثابة ، وقلوبا طامحة وافكاراً ثاقبة ، وبصائر نافذة ، وعقولا جريئة ، كلها تحتم الكتابة عن امثال رجيب ، وكلها تتطلب أن نجعل حياة الاديب رجيب واضرابه عبرة لنا في فهم الادب ، وعبرة لنا في تقدير المجاهدين المصلحين .

ولقد دفعتني الى الكتابة عن رجيب اسباب عدة :

منها ما يتعلق بالصلة العقلية المحضة التي هي نتيجة لتتبعي آثاره ، وتنقيبي عن كل ما نشرته له الصحف خاصة النجفية منها ، ويرجع اعجابي برجيب الى العهد الذي كنت فيه مرباً على دراسة « نهج البلاغة » وراغباً في كل ما يجري على اسلوب النهج من الجزالة والفخامة منذ ذلك الحين اعجبني اسلوب رجيب الذي يتميز بالاحكام في التركيب ، والاتقان في السبك ، والرصانة في التعبير ؛ والنصاعة في الديباجة ، والاشراق في الفكرة ، والوضوح في المعنى ، حتى اخذت اقرأ كلما يصادفني لهذا الاديب العربي الحر .

ومنها ان الاديب يوسف رجيب قد جعل أدبه وسيلة لتصوير الحياة العربية ، واتخذ منه سببا في الدفاع عن استقلال امته ، وهذه

خلة يجب ان يعرفها لرجيب كل من عرف هذا الرجل ، ووقف على انتاجه ، ويجب ان تجعل السبب الاول في رفع مكانة رجيب والاشادة بذكره .

ومنها اني وجدت في نفس رجيب الغاية التي انشدها في حياتي وينشدها كل عربي صادق في عروبته ، وهي جعل الامة العربية بعد أن يقودها علم واحد سلاحا ماضيا وسيفاً مصلتا ، وقوة قاهرة في وجه كل ظالم ، يحاول انتقاص الفضيلة الانسانية ، وبهذا تكون الامة العربية قد نذرت نفسها بان تفنى وتموت من أجل الانسانية جمعاء ، ومن أجل الدفاع عن جميع حقوق البشر . مما يتهددها من ضراوة الطباع الشرسة ، ووحشية النفوس الخبيثة .

ومنها اني عندما نعي إلي الاديب رجيب ، شعرت أن كل جارحة من جوارحي ، تدعوني الى الكتابة عنه ، واحسست بان لافكار هذا الاديب التي « قرأتها له » صلات بنفسي ممتدة الى عقلي ، وقلبي ، وعواطفي ، وبأن لخواطره صدى عميقاً ، كامناً في اغوار ذاتي ، ومخزونا في طيات نفسي ، ومستقراً في كل جهة من جهات كياني . وكل هذه معاني تدعوني وتلح في الدعوى الى الكتابة عن رجيب .

هذه هي بعض الاسباب التي دعتني لان اقدم هذه الصفحات القصار عن الاديب رجيب ليعرف « البعض » أن بين ابناء هذا البلد من تستجلبهم الحقيقة ، ويعترفون بالفضائل ، ويقرون

للمجاهدين الاحرار بكل ما ابدوا لهذا البلد، وما تحملوا في سبيل ترقيته .

ولست معتقداً باني قد وفيت هذا الاديب حقه ، واعطيته كل ما يجب له على من عرف روحه ، وسبر دخيلته ، ووقف على ما تستقل به نفسه من هم ثقيل ، كان يقيمه ويقعده .

ولقد كان رجيب مثقل الدماغ بخواطر ليست لها صلة إلا بمستقبل امته التي انشقته هواءها ، وانشأته في ارضها ، وصهرت روحه بحرارة تربتها المتوجرة الملتهبة ؛ ولم يكن يوسف رجيب من الجاحدين المارقين . حتى يتناسى ما لأمته عليه من طول وفضل . لذا فقد توارى رجيب وهو مترع القلب مملؤ الجوانح . زاخر الفؤاد . طافح المشاعر . بكل ما يقربه الى امتثال واجب امته عليه .

نعم : اعتقد أني لم أف الموضوع حقه . حيث قد تبقت هنالك جوانب عديدة لم أطرقها من حياة هذا الاديب . وعسى ان يتهيأ لها من هو أوسع مني اطلاعا . واعمق فكراً . واعرف بمراقبة الحوادث . وادرى بملاحظة الامور التي اكتنفت حياة هذا الاديب . فيتناول حياة الاديب رجيب درساً وتدقيقاً وبحثاً واستقراءاً وتنقيبا واستنباطا لكي يثبت للملأ اننا ابناء امة تأبى ان تترك احرارها المجاهدين . تلف عليهم اغطية النسيان والخمول .

والخلاصة : أسأل الله جل وعز . ان يملأ الفراغ الذي يحدثه في جسم العروبة غياب امثال هذا الاديب ؛ وان يحقق الوحدة العربية على ايدي ابنائها المجاهدين الاحرار

« وقد صورت يوسف للفضيلة »

اطلع الأستاذ الفاضل السيد علي الهاشمي على ما كتبناه في هذه الرسالة عن المرحوم يوسف رجيب فاظهر عواطفه الصادقة بهذه القطعة الرائعة مخاطباً بها المؤلف ومؤرخاً بها الرسالة فللاستاذ الهاشمي الشكر والامتنان.

كتابك للحقائق والفضيله ... به صور مهذبة أصيله
تجلى خلقك العربي فيه ... رعاك الله يافخر القبيله
واكرم بالوسائل ساميات ... فيوسف كان للعليا وسيله
له في كل مكرمة مقال ... به يدعوا لأغراض جليله
أجدت كما اجاد وليس بدعاً ... وكنت اخاه بالشيم النبيله
واصدق من بكى اسفاً وحزناً ... خليل شاعر يبكي خليله
لقد أحييت ذكراه فأرخ: ... [وقد صورت يوسف للفضيله]

ـ ١٩٤٧ ـ

النجف الأشرف :ـ

علي الهاشمي



للمؤلف
« جاهزة للطبع »
١ - عاماله في النجف
٢ - دروس في القومية العربيـــة
٣ - اشخاص وآراء
ثمن النسخة ١٧٠ فلساً